16 em Année No. 789

Lundi — 16 — 8 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

ص

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٧٨٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٦٧ — ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

المصادفة والتــــاريخ

للأستاذ عباس محمود العقاد

سبق إلى أذهان الكثيرين من النقاد العسكريين ، فضلا عن سواد الناس ، أن النازيين أحكموا خطط الميادين كلها وفرغوا من إعداد وسائلها قبل هجومهم على بولونيا ، ومنها خطط الميادين الفرنسية والميادين الروسية .

وظل هـذا الاعتقاد عالقاً بالأذهان إلى ما بعد هزيمة ألمانيا واحتلال أرضها .

فلما تم هذا الاحتلال كان أول ما اهتم به الحلفاء جمع الأوراق والأسانيد من محفوظات الدولة ، ولا سيما المحفوظات السرية فى وزارة الدفاع .

فإذا بذلك الظن يتبدد كله بعد الاطلاع على أوراق القيادة العليا ، وإذا بالوثائق المتكررة تدل على أن القيادة العليا فوجئت بعزم هتلر على غزو فرنسا ، وإذا بهتلر نفسه يستعجل هذا الغزو على غير سابقة من البحث فى خططه واحتمالاته ، لأنه كان يظن أن عقد الصلح بعد هزيمة بولونيا ومحالفة روسيا مستطاع ، ولكنه رأى من الحلفاء إصراراً على المقاومة ، وعلم أنه استنفد وسائل استعداده فلا مزيد عليها ، وكلما مضى شهر على الحرب نقصت قوته وزادت قوة الحلفاء حتى تتوافر لهم أسباب الرجحان المحقق فى النهاية .

وفوجئ القادة باستعجاله فعارضوه أشد معارضة ، وأطلعوه على حقيقة الخطر من هذه المجازفة ، ولكنه سلم لهم رأيهم من الوجهة العسكرية بعض التسليم ، وتذرع بما لديه من « المعلومات السياسية » لتصويب البدء بالهجوم على فرنسا من هذه الوجهة .

وجاء دور الخطة التى يعتمدونها فى النفاذ إلى الأرض الفرنسية من وراء خط « ماجينو » ومن وراء الحدود المغلقة .

لم يكن هتلر قد وضع خطة لهذه الغزوة ولا هو الذى وضعها بعد موافقة القواد إياه ، خلافاً لما سبق إلى الظن أيضاً بعد نجاح الخطة على غير انتظار .

إنما كانت هـذه الخطة من عمل « هدلار » رئيس أركان الحرب ، وقد اعتمدها هتـلر بعد مراجعتها ، وكانت فى مبدأ وضعها شبيهة بالخطة التى غزيت بها فرنسا من ناحية بلجيكا فى الحرب العالمية الأولى .

ولـكن ضابطاً شاباً علم بهـذه الخطة فانتقدها ، وقال إنها مكشوفة يسهل تقديرها واتقاؤها ، ومن الواجب تركيز الهجوم الأكبر على جبهة غير الجبهة البلجيكية الغربيـة ، وهى جبهة « الأردن » ، لأن الهجوم فيها غير منتظر ، والمفاجأة من قبله أقرب إلى النجاح .

اسم هذا الضابط الشاب فون مانشتين ، وقد سخط عليه رؤساؤه لاجترائه على انتقادهم ، وحسبوا أنه يشق طريقه على رؤوسهم إلى ثقة هتلر وإعجابه ، فنفذوا الخطة مضطرين لأنها

أصابت هوى من هتلر ، وأبعدوا الضابط الشاب عن كل مشاركة في تنفيذها .

ولم يكن هذا التحول المفاجئ أول المصادفات في هذه الغزوة الضخمة ولا آخرها .

فقد اتضح من الأوراق الرسمية أن النازيين لم يعرفوا قبل الحرب غاية امتداد خط « ماجينو » على وجه التحقيق ، ولم يعرفوا المواقع التي كانت لا تزال يومئذ في حاجة إلى التعزيز والامتداد ، فدلهم عليها في اللحظة الأخيرة ضابط غوى من هواة تصوير المناظر من الطيارات .

كان هذا عمل المصادفة في أعظم نجاح أصابه النازيون في الحرب العالمية الماضية ، أو كان هذا عمل المصادفة في انهيار دولة كانت محسوبة في عداد الدول العسكرية الأولى .

وليس هذا كذلك آخر المصادفات في الحرب العالمية ، فإن هتلر أقدم على غزو روسيا وهو يقدر أنه سيجتاحها قبل نزول الشتاء ، ولو أنه استطاع أن يوغل فيها قبل نزوله لكان من الجائز أن يتغير مجرى الحوادث في هذا الميدان .

ولكن بمصادفة صغيرة حالت بينه وبين التقدم في الميادين الروسية كما شاء في الوعد المقدور .

لأن اليونان رفضت شروط إيطاليا وهزمت الجيوش الإيطالية فاضطر هتلر إلى إرسال فرق من جيوشه إلى ميدان اليونان ، ليستريح من هذه الناحية ويحمي ظهره قبل الإيغال في الأرض الروسية ، مخافة أن يدهمه الحلفاء من خلفه وهو مستغرق في قتال الروس .

ولم تنته المصادفات هنا وهي كافية في تحويل مجرى الأمور ، بل اتفق في تلك السنة أن أمطار الشتاء نزلت قبل أوانها ، وكان نزولها شديداً قارساً على خلاف المعهود في ذلك الوعد من كل سنة

والمصادفات في الحرب العالمية الماضية أكثر من أن تحصى ، وحسبنا أن نزيد عليها مصادفة قريبة منا ، وهي مصادفة العلمين وانسياق رومل إلى مطاردة الحلفاء قبل استيفاء حاجته من الوقود واضطراره إلى هذه المطاردة بهذه العجلة اغتناماً لفرصة سانحة لعلها لا تعود .

وشأن الحروب الكبرى في الماضي كشأن الحرب العالمية في عنصر المصادفة . فلولا أن المدد البروسي وصل إلى « واترلو » قبل وصول المدد الفرنسي لكان من الجائز جداً أن يختلف مصير نابليون في ذلك الميدان .

ذلك عمل المصادفة في أعظم حوادث التاريخ .

ولا بد للمؤرخ من تسجيله وإعطائه كل حقه ، لأنه واقع لا يحسن إغفاله ، ولأنه نافع للعاملين وفيه عزاء لهم وشحذ لرجائهم

فأما أنه نافع فلأنه لازم في كل تقدير صحيح .

وأما أنه يوليهم العزاء والرجاء فلأنهم ينتظرون بقية مأمولة بعد استنفاد الحيل وبذل الجهود .

***

ومن هنا كان خليقاً بمؤرخنا الأديب الأستاذ محمود الخفيف أن يطمئن إلى نصيب صاحبه لنكولن من التعظيم والإعجاب ، بعد ما عرف من أثر المصادفة في نجاحه .

فهكذا الشأن في كل حادث عظيم !

وهكذا الشأن في كل رجل عظيم !

وكل مطلع على التاريخ لن يخرج مما كتبناه عن لنكولن بأنه مدين للمصادفة بكل شيء ، ولكنه يخرج منه بأن المصادفة كانت شيئاً في تاريخ حياته وفي أسباب نجاحه ، وكل شيء في تواريخ العظماء وفي أسباب نجاحهم لا غنى عن تسجيله والتنبيه إليه

***

قلنا في قصة سارة إن « الدومينة عندنا أتم الألعاب ، لأن الشطرنج والضامة يعولان على الحيلة ، وكل شيء فيهما مكشوف بعد ذلك ، والنرد يعول على المصادفة والذكاء ، وكل شيء فيه مكشوف بعد ذلك ، والورق إما مصادفة وإما صراع قلما يشبه صراع الحياة . أما « الدومينة » ففيها حساب للمصادفة ، وفيها حساب للتدبير ، وفيها حساب لليقين ، وفيها حساب للظنون ، وفيها حساب للغيب الذي تجهله أنت وخصمك ، وللغيب الذي تجهله أنت ويعرفه خصمك ، أو يجهله هو وتعرفه أنت ، وللعيان الذي يعرفه كل من يشاء ، ولها قوانين تمنعك أن تتحرك على هواك ، ولها حرية تمنحك الخيار بين ما في يديك » .

فنحن لا نريد تاريخاً من الشطرنج ولا تاريخاً من النرد ، ولا نتقي المهارة عن لعبة التاريخ ، لأن لاعباً يمد يده إلى الورق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هؤلاء هم اليهود

قديماً وحديثاً وأولاً وآخراً

للأستاذ نقولا الحداد

كتب الدكتور محمد عوض محمد بك مقالاً في مجلة الإذاعة المصرية فحواه : أن هؤلاء اليهود (الأخساء الأنذال) الذين ارتكبوا الفظائع الوحشية ليسوا من نسل إسرائيل . بل هم قوم أجانب (آراميين) تهودوا . وما يأتونه من المنكرات هو هو طبيعة سلالتهم لا من طبيعة إسرائيل ، وأنهم لا ينتسبون إلى إبراهيم وإسحق ويعقوب آباء ذلك الشعب الذي امتاز بأنبيائه وكهانه . فهل يعقل أن ذلك الشعب القديم قد مُسخ هذا المسخ الفظيع ؟ هذا فحوى مقال الدكتور .

والظاهر أن جناب الدكتور لم يقرأ التوراة التي يعتز بها اليهود ، أو على الأقل الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة لموسى لكي يعلم أن اليهود هم هم منذ القديم إلى اليوم سواء كانوا من سلالة إبراهيم أو من سلالة اشكيتاز . والأستاذ يعلم أن الآداب والأخلاق ليست وراثة بيولوجية بل هي وراثة اجتماعية تحصل من العشرة . فلو وضعت طفلاً زنجياً في وسط راق متمدن دمث الأخلاق ، اشب كريم الأخلاق ، لين الطبع .

فيهود صهيون تطبعوا بطبيعة أشخاص التوراة . اقرأ التوراة تعلم من هم اليهود من عهد نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى سليمان إلى اليوم . وإليك أمثلة قليلة من سلوك بطاركتهم عن آبائهم الذين كانوا يقودونهم .

لما دخل بنو إسرائيل أرض كنعان بقيادة يشوع وأخذوا أريحا أولا بأعجوبة وهي إسقاط أسوارها بالهتاف بالأبواق دخلوها كل رجل مع وجهه ، وحرموا كل أهلها من رجال ونساء وشيوخ وأطفال حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . يعني أنهم قتلوهم ذبحاً بالسيف . أنظر سفر يشوع ، الإصحاح السادس ، العدد ٢١ وما قبله وبعده .

بعد ذلك تقدموا إلى مدينة عاي فلما علم ملك عاي بهم خرج بجميع شعبه لمقاتلتهم . وكان يشوع قد وضع كميناً غربي المدينة من ٥ آلاف مقاتل . فلما خلت المدينة من أهلها دخلها هؤلاء فأصبح أهل عاي بين شقين من إسرائيل ، فأعمل هؤلاء السيف فيهم حتى أبادوهم عن آخرهم رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالا .

المجهول فتصادفه الورقة التي يريدها ، أو يضع من يده ورقة فتغلق الباب على خصمه ، لأن المهارة في هذه « الدومنية » صفة معروفة على الرغم من هذا الحظ الذي يتفق لجميع اللاعبين .

***

بقيت حكاية لنكولن وأسلافه .

فالأستاذ الخفيف قد ذكر « أن جدته لأمه كانت تعيش وهي فتاة في ولاية فرجينيا في الجنوب ، فأصبحت ذات حمل وإن لم تتزوج ، ووجدت نفسها بعد أشهر الحمل تضع أنثى ، وكانت هي وحدها التي تعرف والد هذه الأنثى ، ولقيت من أهلها أشد الغضب لزلتها ، ولكنهم احتضنوا بنتها ، فنشأت بينهم تنتسب إليهم وليست منهم » .

ولكن ليس المهم أنها زلت !

وإنما المهم لماذا زلت ؟ !

فقد كانت عبقرية لنكولن مزيجاً من خصلتين : إحداهما المرح وحب النكتة ، وقد أخذها من أبيه ، والأخرى نهمة المعرفة ، وقد أخذها من أمه وجدته ، وقد كان حب المعرفة نادراً في الرجال فضلاً عن النساء بين المغامرين والمغامرات من أهل القارة الأمريكية . فمن العجب الذي لا ينسى في تاريخ الرجل أن جدته أقبلت على التعلم الذي لا يطلبه منها أحد ، وقادها هذا الولع بالعلم إلى التعلق بأستاذها ، فاستسلمت له وجاءت زلتها من هذا الطريق !

وذلك هو بيت القصيد !

وذلك ما لم يذكره الأستاذ الخفيف !

ولعلها مصادفة من المصادفات أبعدت مرجع الحكاية من يد الأستاذ الخفيف ... فلن يفلت إذن من حكم المصادفات ! !

عباس محمود العقاد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

زد على هذا أن يشوع أحرق المدينة وتركها تلا أبديا خراباً إلى اليوم (أي يوم كتب اليهود سفر يشوع بعد ١٧ قرناً من ذلك العهد).

اقرأ الإصحاح الثامن من سفر يشوع :

ثم تقدم يشوع بقومه إلى مدينة مقيدة وضربها بحد السيف وقتل ملكها وكل نفس حية فيها ، ولم يبق شارداً كما فعل في عاي وأريحا .

ثم اجتاز إلى لبنة وفعل فيها كما فعل في أخواتها السابقتين وهكذا اجتاز من مدينة إلى مدينة إلى أن استتب أمره في أرض كنعان . أنظر يشوع ، الإصحاح العاشر وما بعده .

فترى أن أولئك اليهود الذين فروا من مصر وأمضوا في برية سينا ٤٠ سنة كانوا يستعدون لهذا التفظيع ثم كانوا ينسبونه إلى أمر ربهم يهوه . ونحن نعلم أن الله تعالى الذى خلق اليهود وجميع الأمم غير اليهود يعتبر جميع الأمم عباده بلا فرق بين إسرائيل وكنعان وعرب وأفرنج ، ولا يمكن أن يأمر بهذه الفظائع ، فما نسبه اليهود إلى الله إنما هو من اختراعهم ، أى اختراع اليهود الذين عادوا من سبي بابل بعد عهد موسى بسبعة عشر قرناً . وموسى ويشوع والله أبرياء من هذا التفظيع .

أما كان حرياً بهم أن يأسروا أولئك الأقوام الذين غلبوا على أمرهم ويستعبدوهم بدل أن يقتلوهم رجالاً ونساء وشيوخاً وأطفالاً كما فعل نبوخذ ناصر ملك بابل حين غزا فلسطين وهو في ظنهم أنه ليس من شعب الله المختار . لقد كان أشرف منهم نفساً وأحن قلباً . بل كان سبيهم إلى بابل لخيرهم لأنهم تعلموا هناك الحكمة والشريعة فكتبوها في أسفارهم .

إن هؤلاء الهاجاناه والأرجون واشترن والإرهابيين تعلموا هذه الفظاعات من توراتهم . فلا تبرىء يادكتور إسرائيل القديم من فظائع إسرائيل الجديد .

هذا من حيث التفظيع ، وأما من حيث المخازى الأخرى فإليك أمثلة منها :

من أمثلة غشهم وغدرهم وخداعهم حكاية غش لابان لابن أخته يعقوب الذى سمى بعدئذ إسرائيل وإليه تنتمى دولة إسرائيل الحديثة الخبيثة . فقد وعده خاله لابان أن زوجه ابنته راحيل إذا خدم عنده سبع سنين ، نخدم ، وفى الميعاد عمل لابان مهرجان عرس لابنته . وبعد أن دخل يعقوب عليها وجد أنها ليست راحيل بل هى لئية أختها . فعاتب خاله فى هذا الأمر . فقال له اخدم سبع سنين أخرى وخذ راحيل . وهكذا كان . (سفر التكوين الإصحاح ٢٩)

وإليك قصة غش أفظع من هذه : كان لإسحق ابنان عيسو البكر ويعقوب . وكانت (رفقة) زوجة إسحق تحب يعقوباً أكثر من عيسو أخيه . فسمعت إسحق يقول لعيسو : آتني يا ابنى بطعام من صيدك لكى آكل وأباركك . فروت هذا الحديث ليعقوب وقالت له أسرع وهات من صيدك لأبيك لكى يباركك ، وكان إسحق ضريراً . فتقدم إليه يعقوب بصيده لكى يأكل ويباركه . فسأله إسحق من تكون؟ قال : أنا ابنك البكر عيسو . وكانت رفقة قد ألبست زندى يعقوب فراء من الماعز لكى تكون زنده كزند عيسو . فقال هات يدك . فجس يده : فقال اليدان يدا عيسو ، ولكن الصوت صوت يعقوب . وباركه . ولما جاء عيسو بصيده قال أبوه : أنا أسف أن أخاك سبقك إلى بركة بكوريتك . (الإصحاح ٢٧ من سفر التكوين)

ولما ضرب الرب صدوم وعموره لارتفاع شرهما إلى عنان السماء ، استثنى لوطاً أخا إبراهيم لأنه كان صالحاً (نسبياً) . وفى ذات يوم قالت ابنتا لوط : لقد انمحى الرجال من أرضنا فلنسكر أبانا ونضجع معه فيكون لنا بنون . وهكذا فعلتا بالتناوب . (الإصحاح التاسع من سفر التكوين)

وإبراهيم أبو الآباء الذى غمره يهوه ألهه بالوعود ، لما ذهب إلى أرض مصر وكانت سارة زوجته جميلة نخاف أن يقتلوه لكى يغتصبوها منه . فلما علم فرعون بخبرهما استدعاهما فقال إبراهيم : هذه أختى . فأخذها فرعون . وما لبث أن نزل عليه غضب الله وعلم أنها زوجة إبراهيم لا أخته . فعاتبه فى ذلك وردها إليه . (الإصحاح ١٢ من سفر التكوين)

ثم ارتكب نفس هذا الغش حين انتقل إلى أرض جيران وقدم زوجته إلى أبيمالك ملك فلسطين باعتبار أنها أخته فنزل على أبيمالك غضب الرب وعلم أنها زوجة إبراهيم لا أخته . فعاتبه فى ذلك ، فقال هى بالحقيقة أختى من أبى لا من أمى (تكوين

الإصحاح العشرون) (وما الفرق ؟)

وأخذ داود زوجة أوريا قائد فرقة من جيشه وزنى بها لخبث في غياب زوجها ، فأوعز داود إلى قائد الجيش أن يضع أوريا في مقدمة الجيش لكي يقتل ، وكان كذلك ، ثم تزوج داود المرأة (سفر صموئيل الثاني : الإصحاح الحادي عشر) هذا هو داود الذي قال الله عنه « وجدت قلب داود كقلبي »

وسليمان الذي منحه الله الملك والحكمة والغنى غرته في آخر ملكه نساؤه السبع مائة ، وسراريه الثلاثمائة الأجنبيات بعبادة الأوثان وبخطايا أخرى باهظة . فجلبت خطاياه عليه وعلى وطنه عقاباً شديداً (سفر لوك الأول الإصحاح ١١) ولما فرغت جعبته جعل يقول : باطل الأباطيل ، الكل باطل .

ولما سمح فرعون لموسى وقومه أن يهجروا مصر قال (المؤرخ) أوعز الله إلى الإسرائيليين أن يستعيروا من المصريين الحلى من فضة وذهب والثياب لأن عندهم مهرجاناً . وألهم الله المصريين أن يعيروهم . وفي اليوم التالي فروا بها من أرض مصر .

وهكذا ترى أن اليهود بأمر الله (كما يكذبون) يستحلون أموال الأمم الأخرى . فأي إله هذا الذي يعلم شعبه المختار النصب واللصوصية ؟ أتصدق أن هذا الكلام وحي من الله ؟ —

الإنسان شرير قبل أن يكون صالحاً . فإذا جاءه تعليم الشر عن يد إلهه اعتبره حقاً حلالاً . فلا تستغرب أن اليهود يستحلون كل الرذائل والقباحات تجاه خصومهم لأن إلههم يهوه علمهم هكذا كما يزعمون .

أرجو أن تعلم يا دكتور أن إله الإسرائيليين ليس الله إله النصارى والمسلمين .

ذلك قليل جداً من كثير جداً مما جاء في التوراة من مخازى كبار اليهود . فأرجو منك يا حضرة الدكتور ومن كل قارىء أن تلقى من بالك أن كل ما كتب في التوراة هو وحي من الله ، أو أن التوراة كتاب مقدس ، لأن الله لا يوحي بمثل هذه المخازى ولا تكون قصص المخازى كتاباً مقدساً .

إن أسفار التوراة كتبت بالتتابع بعد رجوع الإسرائيليين من سبي بابل أي قبل المسيح بنحو ٦٥٠ سنة وبعد خروجهم من مصر بنحو ١٧ قرناً . وإنما هي أساطير أشور وبابل ونينوى ومارى وفارس وعيلام جمعها السبيون في مدة سبيهم ولما عادوا إلى فلسطين شرعوا يكتبون هذه الأساطير وما عندهم من أمثالها على هواهم .

وإذا كان بعض طوائف النصارى تقدس التوراة فلأنها تعتقد أن التوراة تشتمل على نبوءات بمجيء المسيح .

ولكني وكثيرين مثلي نعتقد أن المسيح في غنى عن نبوءات تشهد له . إن حياته القوية وتعاليمه الأخلاقية الشريفة تشهد له وهي شهادة حق . وبعض الطوائف النصرانية لا تضع التوراة بين أيدي أولادها لما فيها من المخازى .

ومتى قرأت التوراة أو الأسفار التاريخية فيها على الأقل شعرت أن أولئك اليهود القدماء الذين تنسب إليهم البر والقداسة ليسوا أبر من يهود بولونيا وألمانيا وسائر أوربا . فهؤلاء اطلعوا على التوراة واستقوا منها أخلاقهم من شره وجشع ووحشية وتفظيع الخ ... ولولا هذا لكانوا كسائر أهل أوربا أقرب إلى الإنسانية والرحمة وأبعد عن الأنانية .

فأعود وألفت نظرك إلى الوراثة الاجتماعية فهي وراثة أخلاق وآداب في أثناء العشرة . وليست كالوراثة البيولوجية وراثة دم أو بالأحرى وراثة حيوية .

أرجو منك أن تطالع الأسفار التاريخية في التوراة وثم قابلني . والسلام عليك وعلى طيبة عنصرك . وأرجو أن تتوب عن الدفاع عن اليهود . فهم قبيل من الناس لا يمكن أن يكون إنسانياً مادام سنده التوراة وبها يدعى أرض فلسطين وطناً ودولة

نقولا الحداد

محمود الخفيف
يقـــدم
من وراء المنظار
صور انتقادية فكهة من حياتنا الاجتماعية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حول مقال :

الأزهر والإصـــــلاح

للأستاذ سليمان دنيـــــا

قرأت فى العدد ٧٨٦ من مجلة الرسالة الغراء ، مقال الأستاذ الفاضل محمود الشرقاوى ، تحت هذا العنوان ؛ واعتقد أن كل من قرأ هذا المقال القيم قد أحس بروح الكاتب القوية تفيض غيرة على الأزهر ، وحرصاً على أن يأخذ هذا المعهد العتيق حظه اللائق به ، ويتبوأ مكان الصدارة فى هذا الوجود .

وأعتقد أيضاً أن حياء الأستاذ الشرقاوى الجم ، الذى هو خلق أصيل فى طبعه ، هو الذى جعله يحسب للقراء من الأزهريين كل هذا الحساب ، حتى افترض على ألسنتهم كل هذه الاعتراضات وظن أن كل جملة فى مقاله ، بل كل كلمة وكل حرف ، سيسأل عنها بـ « ماذا ، ولمه » .

ولكنه رغم كل هذا الحياء المتأصل فى طبعه ، ورغم توقعه أن يسأل عن كل حرف فى مقاله بـ « ماذا ، ولمه » ، لم يطق صبراً على الصمت ، وفى نفسه لواعج الغيرة تحتدم ، ونوازع الشوق الملح إلى إصلاح الأزهر تضطرم ، فأرسلها عالية مدوية ، صريحة معلنة « إن الأزهر لم يصلح ، وإن بينه وبين الإصلاح شأواً بعيداً وبوناً واسعاً ومرحلة طويلة جداً » و « ... إن الحديث عن الإصلاح فى الأزهر حديث لا يصغى إليه أحد ، ولا يشتغل به أحد من قريب ولا من بعيد » .

ولعل الأستاذ الشرقاوى مبالغ فى كل هذا الحذر ، وفى اعتقاده أن كلماته الواضحة الصريحة التى تفيض إخلاصاً وغيرة ، ستصرف عن ظاهرها ، وسيطلب لها سر باطن ، مثال فى حكمه بأن الحديث عن الإصلاح فى الأزهر ، لا يصغى إليه أحد ، ولا يشتغل به أحد ، من قريب ولا من بعيد ؛ فن الأزهريين كثير من المعنيين بالإصلاح فى الأزهر ؛ يجاهدون ما وسعهم الجهد ، لإفساح المجال فيه لسياسة علمية صحيحة ، ولست أدعى أنهم نجحوا فى محاولاتهم ، ولكنهم دائبون حريصون . ومن الأزهريين كثير من المشغوفين بالحديث عن الإصلاح فى الأزهر ، حتى أصبح شغلهم الشاغل ، وهمهم الذى يتذاكرونه فى غدوهم ورواحهم ، وفى خلواتهم ومجتمعاتهم ، ولهم فى هـذه السبيل نشاط مشكور .

* * *

وإذا كان فى مقال الأستاذ الشرقاوى ما يستحق العتب ، ففيه ، ما يستحق المدح والثناء ؛ ذلك هو تصويره الأهداف العليا التى ينبغى أن يتجه إليها المصلحون للأزهر ، تصويراً جمع بين إشراق الديباجة ، ووجازة اللفظ ، وسرف المقصد ونبل الغاية .

أرأيت إلى قوله « ... ليكون الأزهر قواماً على نهضة دينية ، أساسها الفهم والإدراك وسمة الأفق ، حتى يقاوم بها ما ينتاش العالم كله ، من إباحية وإلحاد ، » وقوله : وليستخرج فى الأزهر « طائفة من الرجال ، يحسون ويدركون علة هذه الأمة الإسلامية وأسباب جمودها وتخلفها ، وجهالة العوام فيها وتوا كلهم وضعف إيمانهم وانصرافهم عن المفيد النافع من شئون الحياة ، واستهتار الخواص وأنانيتهم وجحودهم » .

وكثير غير ذلك مما أطلع عليه القراء واستذوقوه واستمتعوا به .

أرأيت إلى هذا الكمال الذى يحرص الأستاذ الشرقاوى كل الحرص على أن يبلغه الأزهر ؟ ! ، وهل وراءه ما يمكن أن يطمع فيه طامع ، أو يأمل فيه آمل ؟ ! .

لكنى أعتب على الأستاذ الشرقاوى مرة أخرى ، حيث قد عدد أهداف الإصلاح العليا على نسق جمع بين حسن الأداء وصدق التوفيق ، ثم عقب قائلا « هذا هو الإصلاح للأزهر ، وهذه سبيله » .

حقاً إن هذا هو الإصلاح الذى تصبو إليه نفوس الغيورين ، ولكن أين سبيله ؟ ! . قرأت مقال الأستاذ الشرقاوى مرة وعاودته مراراً ، فوجدت فيه الإصلاح واضحاً بارزاً ، ولكن لم أجد فيه سبيله ؛ وهل سبيل ذلك إلا مشروع واضح المعالم بين الصوى ، يشخص ماينبغى أن تقوم عليه سياسة الأزهر العلمية : ما يتصل منها بالعلم ، وما ينبغى أن يتوافر فيه من كفاية ومقدرة وما يتصل منها بالكتاب وكيف ينبغى أن يكون ، وبالدراسة وكيف تؤدى . وما يتصل منها بالطالب وماذا يشترط فيه ، وكيف

براض من جموح ، ويؤلف من شرود ؟ وكيف تمتد بينه وبين العلم صلة تحببه فيه وتصرفه عن كل ما ينافيه .

هذه النواحي جديرة بالدراسة والبحث، والرسم والتخطيط ؛ كان على الأستاذ الشرقاوي أن يعالجها ببيانه المشرق وهديه الوضاء ؛ وإن له من تتبع سير الأمور في الأزهر منذ حداثة سنه ، ومن اهتمامه بنهضته وإصلاحه ، ودؤوبه على الكتابة في كل هذه الشئون ، ما يجعله أهدى سبيلا إذا بحث ، وأصدق قيلا إذا كتب ؛ إن من يدعو إلى غاية ثم لا يدل على طريقها يوقع في حيرة واضطراب ؛ ومن السهل أن تشخص الغاية وتوضح ، وليس من السهل التعرف على أقرب الطرق الموصلة إليها ؛ فليكتب من شاء أن يكتب في رسم السبيل وتبيين معالمها ، وليكثر من الكتابة في ذلك ؛ فإن الطريق إذا استبانت واتضحت ، وآمن الناس بأنها توصل إلى ما تصبو إليه نفوسهم من الإصلاح المنشود ، لم تعدم سالكين ، ومن وقتئذ يبدأ الإصلاح يتحقق ؛ أما الاقتصار على ذكر الأهداف والغايات دون الإيضاح الكافي للسبل والوسائل ، فليس من شأنه أن يحقق غاية أو يوصل إلى هدف .

سليمان دنيا
المدرس في كلية أصول الدين

آلام بيتهوفن

للدكتور فضل أبو بكر

ولد بيتهوفن بمدينة « بون » التابعة لمقاطعة « بروسيا » الشرقية بألمانيا في السابع عشر من ديسمبر سنة ١٧٧٠ وهو — كما يعلم القارئ — ثالث الثلاثة — «موزار» و « باك » — الذين تفاخر بهم ألمانيا كما أدهشوا العالم في فن الموسيقى وكان أبوه — كوالد « موزار» موسيقياً بارعاً ولكنه على العكس من زميله نشأ نشأة تعسة في طفولة بائسة مشردة لقسوة والده عليه ولمعاقرة ذلك الوالد للخمر وإدمانه عليها وهو ما طبع حياة الطفل بطابع التجهم والكآبة منذ الصغر مضافاً إلى ذلك حدة الطبع وسرعة الغضب رغماً عن صفاء نفسه وطيبة قلبه . وقد حكى عنه أنه بينما كان يعزف على عوده قطعة موسيقية وإذا بعنكبوت خرجت من مكمنها وتدلت من نسجها كأنما أطربتها ألحانه الشجية فضربتها أمه ضربة أماتتها مما أثار نفس الابن وجعله يحطم عوده من شدة الغضب .

بدأ نبوغ بيتهوفن في سن مبكرة كما بدأ يؤلف وينتج في فن الموسيقى في الثالث عشر من عمره وهو ما أثار دهشة مواطنيه .

كان « موزار » في ذلك الحين قد بلغ الذروة في عالم الفن وقد تعلق به بيتهوفن وأعجب بنبوغه وتفوقه في عالم الموسيقى فلحق به في مدينة « فينا » في ربيع سنة ١٧٨٧ يحمل توصية من أحد الكبراء لكي يحظى بمقابلة « موزار » فكان له ما أراد ورحب الفنان الكبير بزميله الشاب الصغير وأكرم مثواه وأراد موزار أن يمتحن بيتهوفن ويتحقق بنفسه عما ذاع عنه من بوادر النبوغ فأعطاه قطعة موسيقية صعبة معقدة ورجاه أن يعزفها على البيان فأبدى الشاب من الكفاءة والنبوغ ما حير «موزار» الذي لم يملك نفسه من فرط الإعجاب فصاح فيمن حوله « تأملوا هذا الشاب الصغير ! إنه سوف يترك في الدنيا دوياً وسوف يتكلم عنه العالم أجمع » على حد قول المتنبي :

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

أما من حيث تكوينه الجسمي فقد كان قصير القامة واسع الصدر ضخم الرأس والعنق قصيرها مما زيد من قماءته غليظ الشفتين بارز الجبهة والحنك قصير الأنف وفي عينيه قوة معبرة وشعاع نافذ وإذا ما غضب وحدج بهما إنساناً فكأنما يتطاير منهما الشرر ويكسو رأسه شعر كثيف أسود كدجى الليل يتعذر على المشط أن يجوس خلاله أو يقوم ما أعوج من تجاعيد خصلاته المتدلية على أكتافه كأنما هي عرف الأسد .

إن ملامحه — كما يقول عنه بعض الكتاب — إن لم تنم عن وسامة وجمال فهي تعبر عن هيبة وجلال وكأنما الشاعر يعنيه بقوله :

فإن لم تك المرآة أبدت وسامة فقد أبدت المرآة جبهة ضيغم

بدأ الوقر يطرق سمعه وهو في السادس والعشرين من عمره وهو في فجر الشباب وأوج المجد وبدأ الداء بأذنه اليسرى وبعد

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما مين لحق باليمنى فضعفت حواسه السمعية وكانت صدمة عنيفة على نفسه الحساسة وجرحا لكبريائه الشامخ وكبرياء النفس صفة تميز بها الألمانيون أكثر من غيرهم ولا سيما البروسيين وكان فى بادىء الأمر شديد الحرص على كتمان مصيبته ولم يبح بها حتى إلى أقرب الناس إليه لهذا بدأ يمعن النظر ويتفرس فى وجه محدثه مراعياً باهتمام حركات الشفاه وملامح الوجه المعبرة حتى يلم بأطراف الحديث ولكيلا يفوته شىء بمايقال وهى طريقة يستعين بها ضعيفوا السمع أو من فقدوا حاسته فقدانا تاماً وهى مايسمونها فى الطب «بالقراءة على الشفاه» «Ladis — Lecturé» ولكن هيهات !! فما كان مجهوده يكلل بالنجاح فى كل الأوقات ، إذ كانت تفوته بعض الكلمات فتبدو على سيماه الحيرة والارتباك ، مما يضطر محدثه لإعادة ما يقول أو الإجهار بالصوت فيزداد ارتباك بتهوفن ويحمر وجهه غضباً لأن فى ذلك ما يذكره بمصيبته ويشعره بأنها لم تعد سراً على أحد .

وفى عام سنة ١٨٠٠ اشتد داؤه وظهرت عليه بعض المضاعفات — دوى فى الأذنين لا ينقطع ليل نهار وضوضاء أشبه بأزيز النحل مع شعور بالدوار وآلام فى الأذنين عند سماع الأصوات الحادة وهى عارضة مرضية يسمونها بال « Hyperacousie » .

بيتهوفن والأطباء :

لجأ بيتهوفن إلى استشارة الأطباء بعد تردد كبير لأنه — كما أسلفنا — كان يأنف أن يعترف للناس أو حتى للأطباء بمرضه فضلا عن ضعف ثقته بالطب والأطباء وفى هذا يشبه المؤلف المسرحى الشاعر « موليير » الملقب بشكسبير فرنسا والذى كان يسخر من الأطباء ويهزأ بهم فى مسرحياته لعجز الطب عن مداواته. غير أن إلحاح إخوته جعله يقبل العلاج فاستدعى أهله الأستاذ الدكتور « شمد » وهو صديق للعائلة ومن المعجبين إلى حد كبير بفن بيتهوفن وقد بذل الأستاذ كل ما فى وسعه واستمر فى علاجه أكثر من ثلاثة أعوام ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح واستمر الداء يتطور ويستفحل . ثم تولى علاجه طبيب ثان هو « ملفاتى » وثالث هو « برتوليني » وأخيراً الأستاذ « استاندنهايم » وهو طبيب الإمبراطور الخاص وقد نصحه باستعمال بعض الأجهزة الخاصة بتضخيم الأصوات فاستعمل منها مجموعة ما زالت محفوظة فى المتحف الخاص به والذى يؤمه الزوار من عشاق فن الموسيقى من كل حدب وصوب ولكن الفائدة كانت ضئيلة ولم يطق بيتهوفن صبراً على احتمالها فنبذها جميعها إلى جنب وظل سمعه يضعف رويداً رويداً .

وأخيراً نصحه أطباؤه بمغادرة فينا — فينا الجميلة عروس الدانوب والتى أحبها كثيراً فغادرها مرغماً إلى قرية مجاورة وانقطع لفنه انقطاع العابد فى محرابه والراهب فى صومعته يتحف العالم من حين لآخر بأروع ما عرف فى فن الموسيقى .

ولكن العزلة وحرمانه من مجالس الأنس وسمر الأحباب، فى فينا كل ذلك زاد من أحزانه وشقاء نفسه حتى ضاق ذرعاً بالعيش واستعجل الموت وقد كتب فى ذلك عدة مذكرات منها وصيته التى تركها لشقيقتيه « كارل » و« جوهان » نقتطف منها :

« ما أقسى المجتمع فى حكمه على الفرد !! إن الناس كالقاضى المستهتر الذى ليس له من ضميره رقيب ولا حسيب فهو يدين المتهم البرىء ويوقع به العقاب من غير أن يكلف نفسه مؤونة البحث والدراسة لقضيته ! إن الناس يرمونى بالصلف والترفع عن مجالسهم كما يتهمنى البعض الآخر بالشذوذ وما دروا أن قلبى منذ نعومة أظفارى مفعم بالحب والحنان وتفيض فى نفسى عاطفة البر والرفق بالضعفاء والمحرومين . وما الحانى إلا تعبير صادق لما يختلج فى نفسى من إحساسات .

لقد مضى على أكثر من ستة أعوام وأنا أعانى من عاهتى الأمرين وتزداد حالتى المعنوية سوءا يوماً بعد يوم كما فقدت الأمل فى استرداد سمعى رغماً عن الوعود الكاذبة التى يتمشدق بها الدجالون من الأطباء . لقد جفوت — كرها — مجالس الأحباب لأن كبريائى لا يسمح لى أن أقول لأحد من الناس إرفع صوتك وأجهر بما تقول لأنى ضعيف السمع أو عديمه !! إن العزلة تميتنى حقاً ولكن أين المفر ؟! إن سخرية الناس وشماتتهم هما على نفسى أدهى وأمر .

يا أخوى التمسا من صديقى الأستاذ « شمد » أن يطالع الناس بحقيقة عاهتى بعد موتى حتى يقفوا على حقيقة الأمر وسبب نفورى منهم وليكن لى ذلك مبرر وشفيع وأنى لآمل إلا تعاجله المنية قبلى لأنى لا أثق بغيره من الأطباء .

إلى أرثُ لكما الثروة المتواضعة التي جمعتها بعرق جبيني فاقتسماها بينكما بالعدل كما آمل أن يسود بينكما الحب والوفاق

وأما أنت يا شقيق «كارل» فأشكر لك حسن صنيعك وعطفك عليّ كما أسألك أن تنشىء أبناءك نشأة طيبة متمسكين بالفضيلة ففي ذلك وحده النجاة كما أنها الطريق المفضي إلى السعادة ، والسعادة ليست في الثراء لأنه عرض زائل وإنما هي معنوية وليست مادية .

أشكر جميع أصدقائي ولا سيما سمو الأمير «شنوسكي» والأستاذ «شمد» كما ألتمس منكما أن تحتفظا بالآلات الموسيقية التي أتحفني بها سمو الأمير كذكرى نفيسة «اللهم إلا إذا أعوزكما المال ففي هذه الحالة فقط أسمح لكما ببيعها» .

أسباب مرضه :

اختلف الأطباء في تعليل الأسباب التي أودت بسمعه فبعضهم يعزوها إلى مرض الزهري كالدكتور «جاكو بصن» مثلا ولكن تشريح جثته بعد موته في السادس والعشرين من شهر مارس سنة ١٨٢٧ لم يظهر أي أعراض للزهري وبعضهم يقول إن حمى التيفويد التي أصيب بها في حداثته سببت له التهاباً في الأذن الداخلية «Ladyrinthite» غير أن هذه الدعوى ليس لها مكان من الصحة إذ أن مثل هذا الالتهاب له عوارض لم تظهر على بيتهوفن والمتفق عليه الآن أن مرض أذنيه الذي أودى بسمعه هو ما يسمونه بال «Ots — Sclérose» لأن كل ما كان يشكو منه من عوارض وما دلت عليه نتيجة التشريح بعد الموت ولا سيما تشريح الأذن نفسها يدل على أن بيتهوفن كان مصاباً بالمرض الأذني المذكور يضاف إلى ذلك أن والده كان ضعيف السمع والوراثة تلعب دوراً هاماً في هذا النوع من الأمراض السمعية .

أثر الصمم في فن بيتهوفن :

يظن الكثير من الناس بأن حاسة السمع شيء لا عوض عنه للفنان الموسيقي وذلك أن يعزف بنفسه أو يعزف له أحد غيره ما يؤلف من قطع موسيقية فيتذوق ما بها من فن ويصلح ما بها من ضعف وهو ما حرم منه بيتهوفن مدة طويلة ولكن الواقع ينفي ذلك إلى حد كبير ولا سيما لدى فنان ملهم موهوب مثل بيتهوفن وحاسة السمع لا تلعب إلا دوراً ثانوياً في هذا الصدد وإنما العامل الأول في الإنتاج هما ذكاء القريحة وقوة الخيال وقد وهبه الله منهما قسطاً وافراً . والموسيقى فن فوق الإحساسات المادية وهي لغة الوجدان وترجمان العواطف .

إن عاهته لم تعقه عن النبوغ والوصول إلى درجة الكمال في فنه كما أن أحزانه قد صهرت نفسه وطهرتها من أدران المادة كما أرغمته أن ينزوي وينقطع لفنه ويعيش من أجله كما خلقت في نفسه «مركب نقص» دفعه إلى طلب الكمال كما تفعل مركبات النقص والعاهات في النفوس الكبيرة التي تغالط في حقائق الواقع وتتحدى الأقدار .

وقد وصف ذلك الكاتب الألماني بيوش وصفاً بليغاً قال فيه :

«أيها الساري إذا ما مررت بالقرب من دار بيتهوفن في دجى الليل فلا ألتمس منك أن تسير رويداً وتقبض أنفاسك كما تهمس في أذن عشيقتك مخافة أن تزعجه ولكن سر ما بدالك وأملأ الدنيا ضجيجاً وغناء بصوتك الآدمي الخشن لأن «موجات» ما تحدثه من ضوضاء لا تجد طريقها إلى أذن بيتهوفن رب الألحان وإله الفن وقد ترفعت أذناه عن سماع همس النسيم يداعب ما جف من أعشاب الحقول وهديل الحمائم وتغريد البلابل وسجع الهزار فكيف الحال بصوتك الأجش المنكر ؟! إن في نفسه تتفجر ينابيع الفن وتجري أنهر من اللحن العذب تروي عطاش ما جف من زرع أنفسنا فيأتي بالثمر الشهي ونجنيه جنياً هو البر والحب والجمال» .

فضل أبو بكر

عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

يفيد القاضي والمتقاضي والمحامي والفقيه كتاب

مبادىء في القضاء الشرعي

للأستاذ الزين القاضي

يطلب من دار الرسالة بالقاهرة

ومن الأستاذ علي عبد الله بالمنصورة

وثمنه ٢٠ قرشاً عدا البريد

عناصر الشخصية الأدبية

للأستاذ أنور المعـــداوى

أريد بهذا المقال أن أحدد عناصر الشخصية الأدبية، وأن أعدد ملامحها العامة، وأن أرسم خطوطها الرئيسية ...

وإذا ما كان هناك دافع إلى هذا التحديد، فهو دافع وزن القيم بميزانها الصحيح الدقيق، ووضع الأمور في موضعها من صدق النظرة ونزاهة القصد وهدى التائهين إلى معالم الطريق.

عناصر الشخصية الأدبية فى حاجة إلى تحديد، بل ما أحوجها إلى كثير من التحديد فى هذا الجيل الذى نعيش فيه ... إنه جيل تنقصه الأداة وتعوزه الأناة، ولا يستقيم له الحكم على حقائق الأشياء فى الكثير الغالب من الأحيان، ذلك لأنه يأخذ زاده من الثقافة القاصرة، ويستمد علمه من القراءة العابرة، وينساق وراء الرأى ينادى به ويدعو إليه، بلا تمحيص ولا مراجعة!

أول عنصر من عناصر الشخصية الأدبية هو الكرامة العقلية ... وفى ظل هذه الكرامة تحتشد بقية العناصر الأخرى مكتملة ناضجة، لتصنع الكاتب الحق وتخلق الأديب الكامل. الكرامة العقلية هى أن يحترم الكاتب عقله وعقول الناس، فلا يقدم إليهم إلا ما يؤمن به إيماناً يقوم على القدر المشترك بين فهم وفهم، وبين ذوق وذوق، وبين أفق وأفق، فى مجال التفكير والتعبير ... والكرامة العقلية هى أن يحترم الكاتب قلمه فلا يتجر بفنه، ولا يهبط به إلى ما دون المستوى اللائق بحرمة الفكر الحر ومنزلة الفن الرفيع ...

ومن الكرامة العقلية ينبع الضمير الأدبى، ولا وجود لهذا بغير تلك، لأنها الموجهة له والرقيب عليه ... وفى الضمير الأدبى يتمثل الركن الثانى من أركان الشخصية الأدبية، ومن التقاء الركنين يتم الاتحاد فى الهدف والاتفاق فى الغاية، وإن اتجه كل منهما بعد ذلك فى طريق.

أنا لا أنكر أحداً كما أنكر الذين يلغون عقولهم غير عابئين بيقظة الرأى العام الفنى ولا آبهين لسلطانه، إنهم أشبه بالنعامة حين تخفى رأسها فى الرمال لتصبح بمأمن من عين الصياد اليقظ. ولا أرثى لأحد كما أرثى لأولئك المتجرين بالفن لقاء غرض من الأغراض ... إنهم يهونون على أنفسهم ويهونون على الناس!

أما أولئك العلماء بلا ضمير، فكأنى برابليه كان يعنيهم حين قال: علم بلا ضمير خراب للنفس!

إنك لن تجد فى مجال الحكمة الخالدة وتقرير الواقع أصدق ولا أكمل ولا أدق من هذه العبارة. إن رابليه حين نطق بها كان يشرف على الإنسانية من قمة عالية هى قمة الضمير العلمى!

ومن عناصر الشخصية الأدبية أن يستقل الكاتب عن غيره فى طبيعة النظرة وأصالة الفكرة وطريقة التعبير ...

ولا نعنى بذلك ألا ينتفع الكاتب برأى لغيره يتسع به أفقه أو تقوم عليه دعامة من دعائم دراسته ... كلا، وإنما نعنى به ألا يكون مقلداً بغير وعى، ومردداً بغير فهم، وبوقاً ينفخ فيه من يشاء ... ألا يكون بتعبير أدق كتلك النباتات الطفيلية التى لا تستطيع أن تصل إلى الضوء والهواء إلا إذا تسلقت الأغصان الشوامخ؟!

أنا لا أضيق بشىء كما أضيق بتلك النباتات الطفيلية، أولئك الذين يسطون على أفكار الغير، ويعيشون فى رحاب الغير ...

ولست أدرى ما هى قيمة العمل الأدبى وما هى جدواه، إذا لم يستقل صاحبه علكاته الخاصة ويتفرد بمواهبه الأصيلة؟!

ولست أدرى ما هو موقف تلك الفئة الأخرى من أصحاب المقالات المترجمة والكتب المترجمة؟ أقول لست أدرى ما هو موقفها من موازين الأدب والفن؟ إنك لا تكاد تقرأ للواحد منهم مقالا إلا وهو منقول من لغة إلى لغة، ولا كتاباً إلا وهو منقول من اسم إلى اسم!!

ومن عناصر الشخصية الأدبية أن يكون الكاتب واسع الاطلاع رحب الأفق نافذ البصيرة، وهذا كله لا يتهيأ لصاحبه إلا عن طريق واحد هو أن يقرأ ويقرأ ويقرأ. وحسن أن يتخصص الكاتب فى ناحية بعينها، يكب عليها ويفرغ لها ويقتلها بحثاً وتحقيقاً ودراسة، وأحسن منه أن يقتطع من وقته وجهده ما يتيح له النظر فى ألوان أخرى من الثقافات والدراسات ليكون مثقفاً بأوسع معانى الكلمة حين تنطبق على المثقفين ...

أنا لا أفهم أن يقتصر بعض الأدباء على ميدان الأدب وحده دون أن ينظروا إلى صلة الأدب بغيره من ألوان العلم والفن، إن الأدب ليتصل اتصالا عميقاً بالتصوير والموسيقى حين يلتقى معهما

الأرواح والأشباح

للأستاذ حسين مهدي الغنام

(بقية المنشور في العدد ٧٨٧)

هذا بعض ما يتعلق بوجود الأشباح

أما موريس باربانل فقد كتب حديثاً مقالات عديدة تتعلق بتحضير الأرواح ، وعن جلسات روحية حضرها ، وعلى الأخص في تجسد الروح .

ونلخص بعض هذه المقالات فيما يلي :

قال عن جلسات تحضير الروح أن في هذه الجلسات تتركز الخليقة في ثوان معدودة ، وأن الأرواح تتشكل في هيئات الخلق ، ويمكنك أن تراها مجسمة أمامك وتخاطبها وتلمسها . وأن قلوبهم لتخفق ونبضهم يضطرب ، وأجسامهم وأطرافهم كاملة ، حتى لترى أظافرها . ونظراتهم طبيعية ، وشعورهم تختلف ألوانها كشعور الأحياء ، ففيها الأشقر والذهبي والأشيب . أما أصواتهم فهي نفس الأصوات التي كانت لهم وهم أحياء . وفي بعض الحالات تتجسد الأرواح وترتدي بعض الملابس التي كانوا يلبسونها في حياتهم ، ولكنهم عادة يظهرون في أردية طويلة تبرز أشكالهم .

وتتجسد الأرواح بواسطة مادة (الإكتوبلازم) ، التي حللت في المعامل ، وهي مادة لدنة مطاطة جداً .

وكما أن (البروتو بلازم) أساس مواد البناء ، فإن (الإكتوبلازم) هي المادة التي تتجسد بواسطتها الأشباح .

والتجسد هو أعلى مراحل الظواهر الروحية ، التي تقدم دليلاً ماديا ، الغرض منه إيجاد قرينة تدل على وجود الروح .

وإذا قدر لك أن تشاهد عمليات التجسد كما شاهدتها بنفسي ، فستفهم سر بعض (المعجزات) التي ذكرت في العهد الجديد (الإنجيل) .

ولقد وقع بين الدكتور بارنس ، مطران بير منجهام ، وبين بعض زملائه مناقشات حامية ، لأن ثقافته العلمية دفعته إلى إنكار (معجزات) الإنجيل ، ولو كان له نصيب من الإلمام بالظواهر

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

في مجال واحد هو مجال التعبير الفني عن قيم الجمال في الكون ، ويتصل اتصالا عميقاً بالتاريخ حين يبحث الدارسون عن أثر البيئات المادية والمعنوية في توجيه الإنتاج الأدبي ، ويتصل اتصالا عميقاً بعلم النفس حين ينظر النقاد إلى العمل الفني على ضوء المؤثرات النفسية والدوافع الوجدانية ، ويتصل بغير هذا وذاك في ميدان الروابط والعلاقات .

ولا أفهم مرة أخرى أن يقتصر بعض الأدباء على الثقافة المحلية وحدها دون أن يتزودوا بغيرها عن طريق لغة من اللغات ، ولا أفهم أن يقتصر غيرهم على الثقافة الأجنبية وحدها دون أن يتزودوا بغيرها عن طريق لغة من اللغات ، ولا أفهم أن يقتصر غيرهم على الثقافة الأجنبية وحدها دون أن يكملوا شخصيتهم الأدبية بروافد من تراثهم الفكري الأصيل !

هؤلاء وأولئك لا أملك القول بأنهم مثقفون ، لأن ذلك « المثقف » الذي يعرف الكثير عن تاريخ الفكر الغربي ولا يعرف إلا القليل عن تاريخ الفكر العربي ، ذلك المثقف في رأي البعض ليس مثقفاً في رأيي ... وقل مثل هذا إذا ما عكسنا القضية فنقلناها من وضع إلى وضع ومن حال إلى حال !

ومن عناصر الشخصية الأدبية أن يعرف الكاتب أين يضع مواهبه ، فلا يدفع بها إلى ميدان لم تخلق له ، وأين يركز ملكاته فلا يوجهها التوجيه العقيم الذي لا ينتج ولا يثمر ، عندئذ يجدي التركيز حيث لا يجدي التشتيت ، ويغني الجهد الذي يبذل في مكانه عن الجهد الذي يبذل في غير مكانه ... هذا الناثر الذي يعالج نظم الشعر فيخفق ، وهذا الشاعر الذي يحاول كتابة القصة فلا يوفق ، وهذا القاص الذي ينحرف بريشته إلى النقد الأدبي فلا يخرج بشيء ... كل هؤلاء ينقصهم هذا العنصر من عناصر الشخصية الأدبية عنصر الدراسة الخاصة لقيم المواهب والملكات !

وأعود فأقرر ما سبق أن قررته من أن الكرامة العقلية هي الركن الأول الذي يشرف على كل ما عداه من أركان الشخصية الأدبية ... إن الكرامة العقلية من شأنها أن تخلق الضمير الأدبي ، وأن تحول دون الإتجار بالفن ، وأن تربي النزعة الاستقلالية ، وأن تدفع إلى سعة الإطلاع ، وأن تعين على أن يعرف الكاتب أين يضع ملكاته ومواهبه .

أنور المعداوي

الطبيعية الحديثة ، لم يكن هناك باعث لهذا الإنكار .

إن ظهور المسيح بعد الموت ، الذى ينكره الدكتور بارنس ويعتبره من أساطير الأولين ، لا أستبعده شخصياً ، ولا يستبعده غيرى من الذين أتيح لهم أن يشهدوا بعض الظواهر الروحية فى هذه الأيام .

فإن ظهور المسيح فى الحجرة العليا لتلاميذه معقول ؛ لأنه فى الواقع ظهر فى نسخة أخرى من جسده الدنيوى ، وكان جسداً صلباً كاملا ، حتى إن تلميذه (توما) تشكك فى حقيقته ، فسئل أن يتحسس الجسد بنفسه ليتأكد .

ولم يكن فى هذا معجزة اطلاقاً ، لأنه ظاهرة من ظواهر التجسد الروحى .

فقد قمت بنفسى — منذ أعوام قليلة — فى ويلز الجنوبية بملامسة أجسام موتى متجسدة . وكان الوسيط — آلك هاريس — وسيطا هاوياً ، ولم يكن محترفاً يتناول شيئاً عن جلساته .

***

وتكلم المستر باربانل بعد ذلك عن حضوره مع السيدة هيلين هيوز الوسيطة الشهيرة ، بعض جلسات روحية تتجسد فيها الأرواح ، وكان الوسيط ذلك الرجل .

وكان قبل كل جلسة يقوم بفحص الحجرة فحصاً دقيقاً جداً

ثم أخذ يصف الحجرة المعدة لذلك ، وما فيها من أثاث بسيط جمع لهذا الغرض . وقد ضمته الجلسة مع ستة وعشرين شخصاً آخرين . أما هو وهيلين هيوز ـ باعتبارهما ضيفى الشرف ـ فقد جلسا فى مقدمة الوزارة — كما يسمون هيأة الجلسة — حتى أن أرواحاً كثيرة متجسدة كانت تسير على قدميه !

واستمرت إحدى هــذه الجلسات ساعتين ونصف ساعة ، شاهدوا فيها ثلاثين روحاً متجسداً ، وجلس بعضهم على مقاعد وتحادثوا مع الحضور .

أما الروح ، راعي هذه الجلسة ، فقد كان يسمى الكيميائى ثم قال : « وكنت فى فترات متعددة أتحسس هذه الشخوص المتجسدة ، فكنت أجد ذلك (الإكتوبلازم) ذا ملمس حريرى ناعم ، ولكنه ليس كالحرير ، فإن لى من خبرتى بالمنسوجات — إذ عملت سنين طويلة فى صناعة النسيج — ما يجعلنى أستطيع التمييز بين المنسوجات الحريرية بمقدرة .

ولما هززت بعض هذه الأيدى مسلما ، رأيتها ثابتة وطبيعية ، حتى إننى تحسست أنسجة الجلد والعظام تحته . وكانت أيديا دافئة نابضة ... » .

ثم ذكر الكاتب مشاهدات أخرى ، ثم قصة الطيار دوجلاس هوج الذى قتل فى معركة بريطانيا فى الحرب الأخيرة . فلما تجسدت روحه عرفتها هيلين قبل أن يذكر اسمه ، إذ شاهدتها قبل ذلك مرات عديدة .

وهو شاب جميل ، وقد طلب من هيلين أن تقف ليحادثها وجها لوجه ، فشكرها على ما قامت به من خدمة لوالديه ، إذ كانت الوسيطة بينهم ، وقبل أن يذهب قبلها فى جبينها ، وقالت هيلين إن أنفاسه كانت حارة ...

وكان لدى هيلين مفاجأة أخرى .

فقد ظهر دليلها الروحى ، وهو من الهنود الحمر ، بزى الهنود الحمر كاملا ... وإنه لمن العسير أن يكون فى هذا شىء من التلاعب .

وكان أروع ما فى هذه الجلسة ظهور روح متجسد خرج وانحرف مسافة عشر أقدام ، ثم حيا الحضور ، ورفض أن يذكر اسمه وشخصيته قائلا أنهم لا بد يعرفونه من هيئته وصوته .

وقد عرفناه فعلا ، فقد كان موظفاً كبيراً ومن أكابر رجال الحركة الروحية فى حياته .

ومن المستحسن أن أذكر لك أنه من النادر أن تظهر هذه الأرواح المتجسدة من وراء مثل هذه الهيئة ، أو المجلس ، لأن هناك حبل حياة خفيا يربطهم بالوسيط ، فى مثل (خلاص الطفل) الذى ذكرته التوراة ، ويقطع عند الموت .

وسار هــذا الموظف الميت مع آخرين إلى زاوية الحجرة ، وجلس على مقعد ، وبدأ نقاشاً طويلا ، بدا طبيعياً جــداً حتى كان من الصعب أن تعتقد أنك تصغى إلى حديث بين الأحياء والموتى

وكان بعض هذه الأرواح المتجسدة يقول أن عليه أن يعود إلى المجلس — أو الوزارة — ليأخذ (تموينا) آخر ... ثم يتقهقرون ويختفون خلف الستارة الموضوعة ، ثم يظهرون بعد

دقائق قليلة ، ويحتلون مقاعدهم التي تركوها .

ولكن نعتقد أن هذه الأرواح لم تكن فرغاً ، فقد كانوا يستديرون لنرى ظهورهم .

وكان لهم وزن جسمي.. فقد انحنى أحدهم على بساط (بمدله) بعد أن زحزحه روح مضى .

وجاء روح صيني بسحنته الشرقية وشواربه الطويلة المدلاة ، وحيا سيدة كان يعالجها بطريق الوسيطة .

وتجسد روح فتاة ، ولكنها لم تقل شيئاً ، وكان الغرض من حضورها إزالة كل شك في هذه الحقائق بطريقة صامتة ، فقد كشفت عن تكوينها النسوى .

وإذا كان أحد المتشككين حضر هذه الجلسة ، وبقى متشككا كان من الذين يصدق عليهم وصف الانجيل بأنهم لا يؤمنون حتى إذا رأوا الموتى يستيقظون .

***

ومن العجيب أن يعزز الكاتب مقالاته بصور (فتوغرافية) لأرواح تجسدت . ومنها روح الملكة أستريد ، زوجة ليوبولد ملك البلجيك ، وكانت ولية عهد السويد ، وهي ابنة عم ملك السويد الحالي . وقد أخذت هذه الصور باستعدادات فنية خاصة .

والأعجب من ذلك أن روح هذه الملكة أحضرت ووعدت الوسطاء بتجسدها بعد أيام ، وحصولهم على صورة لها .

ثم حضر ، وقالت لهم سيكون لكم صورة جميلة ، ولما تم لهم تصويرها اختفت .

وبعد دقائق قليلة عادت فتجسدت ثانياً ووقفت مع الوسيط — وهو القسيس مارتن ليلجيبالد ، وهو شخصية محترمة جداً — وكانت وقفتهما بجانب فتحة الستار ، حتى يستطيع أحدهما مشاهدة الآخر .

ولما قابل هذا القسيس ملك السويد وحدثه عن تجاربه في الجلسات الروحية ، قال الملك : إن هناك أشياء أكثر في السموات وفي الأرض .

ومن الأشياء العجيبة كذلك التي قدمها بارباتل ، توقيع روح باسمه ، كتوقيعه أيام حياته ، ودلائل مادية أخرى كتصوير الروح فتوغرافيا ...

ومن هذا القبيل أيضاً الكتاب الضخم الذي وضعه الصحافي الإنجليزي الأشهر — هاني سوافر — بعنوان قصتي الكبرى وقد ترجم بعضاً منه الدكتور مصطفى الديواني .

هـذا إلى جانب عشرات العشرات من الكتب والمجلات التي تبحث في الروح وكل ما يتصل بها ، في الغرب المادي .

أما تحضير الأرواح في مصر فقد قرأنا عنه كثيراً ، وسمعنا عنه كثيراً من بعض أصدقائنا المشتغلين به ، ولكن لم يتح لنا أن نحضر إحدى جلساته .

وأما وجود الأشباح هنا ، فنسمع عنها مئات من الحكايات المصرية . ولكني أذكر الحكاية التالية التي وقعت لنا شخصياً ، ولم نستطع لها تعليلا حتى اليوم :

كان ذلك منذ سبعة وعشرين عاماً . وكان والدي وابن عمته مدعوين في زواج ابن عمة إحدى القرى التي تبعد عن بلدنا حوالي عشرة كيلو مترات . فصحبني والدي معه وصحب ابن عمته ولده وكان في مثل سني ، وكانت ثماني سنوات .

وطالت السهرة ، وكان المدعوون كثيرين جداً من مختلف القرى المجاورة . وكان لدى بعضهم مطايا ، والبعض بدون مطايا وكانت مطايانا عادت إلى البلدة .

وبعد انتصاف الليل أراد ابن عمة والدي أن يعود إلى بلدنا ، فقال أبي لننتظر حتى الصباح إلى أن تيسر لنا مركب . فقال الحاج لوالدي : إن الوقت صيف ، وإذا عدنا سائرين على أقدامنا لم نشعر بتعب ، فالجو جميل جداً ...

ولم يستطع والدي اقناعه بالعدول عن الرجوع في تلك الساعة .

وسرنا ، ولكن بعد خروجنا من القرية قال والدي : (أمرنا لله ... من استخف عقله تعبته رجليه !)

وكان على بعد ثلاثة كيلو مترات ، أو أقل قليلا من بلدنا ، (وابور مياه) مهجور ، وعلى بعد منه مقبرة للمسيحيين . والجسر مرتفع ، والأراضي منخفضة على كلا الجانبين انخفاضاً يبعث في النفوس شيئاً من الرهبة ، وكانت أعواد الذرة في كل مكان مرتفعة بين الأشجار البعيدة ، والدنيا ساكنة ...

فلما اقتربنا من ذلك (الوابور) ، وكان القمر بدراً تقريباً ، وكان الوقت حوالي الساعة الثالثة صباحاً ، رأينا امرأة قيشة

متشحة بالسواد تصعد من بين الحقول إلى الجسر ، وتتجه إلينا من بعيد ، وكانت تلف وجهها ، وتضع على رأسها (طشتا) كبيراً جداً من النحاس ، لا يتناسب مع حجم جسمها الصغير

وقابلتنا وهى ما زالت تخفى وجهها ، ولكنى لاحظت أن والدى لم ينقطع عن قراءة القرآن منذ لمحها . ولما مرت بنا ومررنا بها سمعناها تقول نفس الكلمة التى قالها والدى عند خروجنا من تلك القرية : (من استخف عقله تمبته رجليه !)

وأراد الحاج أن يقف ليخاطبها وهو يصيح : ماذا تقولين يا ست ؟ ماذا تقولين ؟

ولكن والدى جذبه ، وهو ما زال يقرأ القرآن بصوت مسموع ، وقال الحاج : أنها حماة (مبيض النحاس) فى البلدة

فقال والدى : وما الذى يأتى بها إلى هنا فى هذه الساعة ، وفى ذلك المكان بالذات ؟ يا شيخ ، أسرع بنا !

وعاد إلى قراءة القرآن ...

ونظرنا خلفنا فرأينا تلك السيدة قد جلست فى وسط الجسر ، وأخذت تجمع التراب من الجسر وتضعه فى (الطشت) الكبير .

ولم يكن هناك مساكن قريبة ، بل كانت المسافة بيننا وبين أقرب مسكن ، ما بين اثنين أو ثلاثين كيلو مترات .

وأخذ والدى ، بعد أن وصلنا بلدنا ، يتكلم عن كثير من الأشباح والعفاريت فى ذلك المكان ... وعما شاهد من قبل فيه وفى غيره .

ولكنى لم أفهم تعليلاً آخر لهذه الحادثة حتى الآن !

وبعد ... فقد قدمنا بعض ما قرأنا فى هذه الأيام عن وجود الأشباح والأرواح .

فهل وجود الأرواح ، وبالتالى تحضيرها واتصالها بالآدميين ، حقيقة أم وهم ؟

وهل معقولة كل هذه الأشياء ؟

وإن لم تكن معقولة ، فما هو تعليلها وبعض العلماء من الماديين أنفسهم يجزمون بصحتها ؟

وإذا صح كل هذا ، فما هو التأثير الذى سيكون له على نظرية فرويد فى تفسير الأحلام ؟ أنه سيقلبها رأساً على عقب ، فلن تعود تلك الأحلام تفسر على أنها صورة من شهواتنا فى اليقظة تتراءى لنا فى عالم الأحلام ، لأنها هنا اتصالات روحية وليست مادية .

وسيؤثر ذلك أيضاً على المتواتر من علم تفسير الأحلام والرؤى الذى يتاجر به بعض (الفلكيين وقراء الكف وعلم التنجيم !)

ومن يدرى ؟

منذ آلاف السنين ، منذ أن كان الإنسان يعبر عن نفسه وفكره بالإشارة والنحت — فى العصر الحجرى — إلى عصرنا هذا الذى استطاع فيه العلم المتقدم أن يصور الروح بآلة التصوير ما زال العلم يتخبط فى إدراك ماهية الروح وكنهها . وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » ، صدق الله العظيم .

حسين مهدى الغنام

وزارة المعارف العمومية

منطقة التعليم بنى سويف

المستخدمين إعلان

تعلن منطقة بنى سويف التعليمية أنها فى حاجة إلى كتبة بالشروط الآتية .

١ أن يكون الطالب حاصلاً على شهادة الدراسة الثانوية (القسم الخاص) أو (القسم العام) أو (دبلوم التجارة المتوسطة)

٢ أن يجتاز امتحان المسابقة الذى ستعقده المنطقة فى الميعاد الذى سيحدد بعد فى المواد الآتية :

(ا) الإنشاء العربى (ب) الترجمة إلى إحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية

(ح) الكتابة على الآلة الكاتبة بنوعيها

وسيكون التعيين فى الدرجة الثامنة الإدارية بأول مربوطها حسب نوع الشهادة

فعلى من يرغب — أن يتقدم بطلب استخدام على الاستمارة ١٦٧ ع ح باسم حضرة صاحب العزة مراقب المنطقة فى ميعاد غايته آخر أغسطس سنة ١٩٤٨ .

٩٩١٦

الفتوة فى اللغة وكتب الأدب

وحياة الفتيان فى الجاهلية وعصور الاسلام

نقص قواميس اللغة العربية وقصورها عن تحرير المعانى

للأســـتاذ ضياء الدخيلى

فى العدد (٧٨٤) من مجلة الرسالة الغراء انتقد الأستاذ محمد عبد القادر الجل استشهادى بأبيات المتنبى وابن هرمة لاثبات معنى (فتى) فى لغة العرب وهـذان الشاعران وإن كانا من المولدين إلا أنهما مما يحتج بهما ، وهـذه كتب اللغة مفعمة بالأستشهاد بأبيات ابن هرمة فى إثبات معانى الألفاظ ، وقد قال شارح لديوان الحماسة جمع أبى تمام (إن ابن هرمة آخر الشعراء الذين يحتج بقولهم) [1] وابن هرمة هو إبراهيم بن على ابن سلمة بن هرمة بن هذيل جاء فى (بلوغ الأرب) أن أبا عبيدة كان يقول افتتح الشعر بامرىء القيس وختم بابن هرمة [2] وإنك لواجد الاستشهاد بشعره فى كتب اللغة من ذلك أنهم استشهدوا فى مادة سلأ السمن إذا طبخه وعالجه فأذاب زبده بقول ابن هرمة

إن لنا صرمة مخيســـة نشرب ألبانهـا ونسلؤها

وأورد الجوهرى فى الصحاح فى (هيد) عن أبى عمرو قول ابن هرمة .

حتى استقامت له الأفاق طائعة فما يقال له هيـــد ولا هاد

و (هيد وهاد) زجر للابل وما رأيك فيمن منحه الجوهرى ثقته ؟

وإنى لم أورد بيته شاهداً باختيار تعمدته ، ولـكن ذلك جاء ضمن كلام لابن منظور الأفريقي نقلته من كتابه (لسان العرب) فهو الذى احتج بكلام ابن هرمة واستشهد بشعره وفى الأغانى [3] أن ابن هرمة ولد سنة تسعين وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة (١٤٠) قصيدته التى فيها .

(١) فى الطبعة الثانية التى نشرتها مطبعة محمد على صبيح :
(٢) ج ٣ س ٩٠
(٣) ج ٤ س ٣٩٧

٣١٠١٤

إن الغوانى قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادى

قال ثم عمرّ بعدها مدة طويلة وفيه أخبر على به سليمان النحوى عن ابن الأعرابى انه كان يقول ختم الشعراء بابن هرمة وفيه وفى كتاب (الشعر والشعراء) أن الأصمعى عده فى خمسة ختم بهم الشعراء فى رأيه . فها أنت تجد اعتداد علماء اللغة بشعره ولو لم يكن فصيحاً لما أقبلوا عليه .

وأما المتنبى فالويل لناقده من غضبته ، لقد جحدت يا أستاذ آيات المتنبى وكفرت بشريعته الأدبية ، فاحذر شـواظ غضبة ذلك العبقرى الذى توج بأكاليل الخلود والذى صرخ فى العصور

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

فآمن بعبقريته حكيم المعرة وأبصر جلاله على عمايته فأهدى للأدب (معجز أحمد) ومن قبلنا بأزمان وأزمان قال العباسى فى (معاهد التنصيص) [1] لقد كان المتنبى من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ، ولا يسأل عن شىء إلا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل أن الشيخ أبا على الفارسى قال له يوماً كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال المتنبى فى الحال حجلى وظربى . قال الشـيخ أبو على فطالعت كتب اللغـة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد وحسبك من يقول أبو على فى حقه هذه المقالة [2] قال العباسى ورزق المتنبى فى شعره السعادة واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه حتى قيل أنه وجد له ما يزيد على أربعين شرحاً وقال فيه أبو القاسم الطبسى :

ما رأى الناس ثانى المتنبي أى ثان يرى لبكر الزمان ؟
هو فى شعره نبى ولـكن ظهرت معجزاته فى المعانى

وحـكى أن المعتمد بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية ، أنشد

(١) ج ١ ص ١١
(٢) قال فى تاج العروس (ونقل شيخنا عن أبى حيان ليس لنا جمع على فعلى بالكسر غير هـذين اللفظين ، ويقال أن المتنبي لقى أبا على الفارسى فقال له كم لنا من الجموع على فعلى بالكسر . فقال أبو الطيب بديهة حجلى وظربى لا ثالث لهما ، فما زال أبو على يبحث هل يستدرك عليه ثالثاً وكان رمداً ، فلم يكن له ذلك حتى قيل أنه مع كثرة المراجعة ورمد عينيه آل به الأمر إلى ضعف بصره ، ويقال أنه عمى بسبب ذلك والله أعلم ، ثم قال وهى من الغرائب الدالة على معرفة أبى الطيب وسعة اطلاعه رحم الله الجميع) انظر مادة ظرب .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يوماً فى مجلسه بيت المتنبى الذى هو من جملة قصيدته المشهورة وهو :

إذا ظفرت منك العيون بنظرة   أثاب بها معيى المطى ورازمه

وجعل يردده استحساناً له وفى مجلسه بن وهبون الأندلسى فأنشد ارتجالا .

لئن جاد شعر ابن الحسين فإنما   تجيد العطايا واللُّها تفتح اللَّها

تنبأ عجباً بالقريض ولو درى   بأنك تروى شعره لتألها

واللها بالضم العطايا وبالفتح جمع لهاة الحلق .

وما تقول يا أستاذ فى ابن هشام إمام النحاة ، لقد استشهد بشعره فى كتابه شرح قطر الندى فى النحو ، واتخذ شاهداً فى بحث الندبة قوله فى سيف الدولة :

واحر قلباه ممن قلبه شبم   ومن بجسمى وحالى عنده سقم

ولا أكتمك أنه انتقده أيضاً وخطأه فى بيت له وذلك فى بحث (عمل لا النافية عمل ليس) إذ قال وغلط المتنبى فى قوله :

إذا الجود لم يرزق خلاصاً من الأذى
فلا الحمد مكسوباً ولا المال باقياً

والشاهد فى (لا) فى الموضعين فإن المتنبى أعملها عمل ليس مع تعريف اسمها فى الوضعين وذلك غلط لاشتراط كون اسمها وخبرها نكرتين ، ومع ذلك فإن للمتنبى جلالا لا يهدم فى اللغة ونحن لم نستشهد بشعره وشعر ابن هرمة لإثبات المعنى ، وإنما جئنا بهما لتأكيد ما دل عليه شعر طرفة ولا ريب أن ذلك مما لا يؤاخذ عليه وفرق بين التأسيس والتأكيد وأنت أيها الأستاذ الناقد المحترم قد أسأت إلى المتنبى عندما أنكرت علينا أن نحتج بروائع أبى الطيب فى تفهم لغة العرب الأصلية المنزهة من تلويث المولدين والأعاجم والمتنبى العربى لو كان حياً لتناولك لهيب انتقامه ولسير قصيدة فى هجائك ترتعد لهولها الفرائص فكفر عن كفرك بآياته الخالدة وجحودك لعبقريته الفذة ، أما سمعت بقصة أبى على الحاتمى عندما تحرش به وتعرض له إذ قدم بغداد فتاه اعتزازاً بأدبه وأبدى من الكبرياء والعظمة ما أسخط عليه البغداديين فانتقده الحاتمى ثم خشى بطشه قال (ثم عمرت ما بينى وبين المتنبى وخفته بالحقيقة أن يشتغل بى دون كل أحد فحدانى ذلك إلى كتابة الأبيات من شعره المقابلة لما قال الحكيم أرسططاليس وهى الجامعة لجواهر شعره وقدمتها هدية إليه وحسن الحال بينى وبينه) وعلى كل فإن أبيات المتنبى يعتمد عليها فى تفهم معنى مفردات اللغة ، هذا ما أردنا بيانه بالنسبة لما تفضلتم به عن هرمة والمتنبى ، أما الأبيات الأخرى فقد استشهد بها كبار علماء اللغة فى أهم الموسوعات اللغوية المتداولة ، وقد ذكرت كتبهم التى أخذت منها وهم الزمخشرى فى الأساس وابن منظور فى لسان العرب وصاحب تاج العروس ، ولا ريب أن ما احتج به هؤلاء الفطاحل يصح لى أن أتبعهم فى الاحتجاج به واذكره شاهداً .

وإن لم أعرف قائله ، وقد غمزتنى بأنى أوردت تلك الأبيات المجهولة القائل مع ذكر من وثق بها من كبار اللغويين ولا يهمنى بعد ذلك أن يكون قائلها جاهلياً أو مولداً واستثنى من ذلك البيت التالى فلم آخذه من كتب اللغة وإنما وجدته فى (حلبة الكميت) تأليف النواجى شمس الدين محمد بن الحسن إذ أورده ثانى بيتين لم يذكر قائلهما هما :

كن ابن شئت واكتسب أدباً   يغنيك مضمونه عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا   ليس الفتى من يقول كان أبى

هذا وليتذكر الناقد المحترم أننى أوردت تلك الأبيات فى نقض قول الأستاذ محمود رزق (وبدهى أن معنى فتى لا يفيد لغة معنى شهم) ومع ذلك فيصح لى أن أستند إلى قولى المتنبى وابن هرمة إذا استعملا فتى فى معنى شهم فإن لغة عصرهما الأدبية الجارية فى الشعر مما يعتد به .

ولإكمال البحث أورد لك نصوصاً أدبية أخرى قد لا يأتى جملة منها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وقد استعمل فيها (فتى) فى معنى الشهامة ، فقد جاء فى هامش بلوغ الأرب(١) أن سعد بن مالك بن ثعلبة جد طرفة بن العبد قال :

والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراحُ
إلا (الفتى) الصبار فى النجدات والفرس الوقاحُ

الجاحم من الحرب : معظمها وشدة القتل فى معاركها ، تخيل الرجل تكبر ، والمراح الاسم من مرح الرجل إذا اشتد نشاطه وفرحه وبطر واختال .

وفى بلوغ الأرب (٢) قال عمرو المحاربى من عبد القيس :

(١) ج ٢ ص ١٤٩   (٢) ج ٢ ص ١٢٣

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

سقى جدث (الريان) كل عشية من المزن وكاف العشى دلوح
أقام (لفتيان) المشيرة مهوة لهم منكح من جريها وصبوح
فيا من رأى مثل الهراوة منكحاً
إذا بل أعطاف الجيـــاد جروح

(الجدث محركة القبر والوكاف المطر المنهل والمزن السحاب الواحدة مزنة وسحابة، دلوح كثيرة الماء، والمهوة الفرس السهلة، والصبوح بالفتح شرب الغداة) فالشاعر هنا جمل الرابطة بين الفتيان الفروسية والخمر والنساء، وذلك ما اعتبره من الفتوة — طرفة في معلقته قال الألوسي أن الريان هذا الذي رثاه الشاعر كانت له فرس لا تدرك تدعى (هراوة الأعزاب) لأنه تصدق بها على أعزاب قومه فكان العزب منهم يغزو عليها فإذا استفاد مالا وأهلا دفعها إلى آخر من قومه فكانوا يتداولونها فضربت مثلا، وهـذا ما يريده الشاعر بقوله أنها منكح لهم، وذلك لأنهم يسبون النساء بفضلها كما كانت عادة العرب في الغزو والغارات والسبي.

وروى في بلوغ الأرب (١) عن الأغاني أن كلا بأن أمية هاجر إلى المدينة في خلافة عمر بن الخطاب (رض) فأقام بها مدة ثم لقي ذات يوم طلحة والزبير فسألهما أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فقالا الجهاد فسأل عمر (رض) فأغزاه في جيش، وكان أبوه قد كبر وضعف، فلما طالت غيبته قال في قصيدة يصف شوقه وحنين أم كلاب لابنها.

إذا سجعت حمامة بطن وج إلى بيضـاتها دعواً كلابا
تركت أباك مرعشـة يداه وأمك لا تسيغ لها شرابا

فبلغت عمر (رض) فلم يردد كلاباً فاهتز أمية وخلط جزءاً عليه ثم أتاه يوماً وهو في مسجد الرسـول (ص) وحوله المهاجرون والأنصار وأنشأ يقول:

أعاذل قد عذلت بغير علم وما تدرين عاذل ما ألاقي
فاما كنت عاذلة فردى كلاباً إذ توجـــه للعراق
ولم أقض اللبانة من كلاب. غداة غداً وآذن بالفراق
(فتى الفتيان) في عسر ويسر شـديد الركن في يوم التلاقي

فهو يرى الفتى ذلك البطل القوى والفارس الذى لا يهاب

(١) ج ٢ ص ١٣٩

(واللبانة الحاجة وآذنه بالأمر أعلمه به وقوله سجعت حمامة بطن وج سجعت الحمامة هدرت وصوتت ووج اسم وادى بالطائف وقوله لا تسيغ الشراب أي لا يسهل مدخل الماء إلى بلعومها ولا تقدر أن تبتلعه لكربها وشجوها قال عبد الله بن يعرب بن معاوية:

فساغ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالمـاء الفرات

وروى السيد المرتضى في أماليه (١) لشاعر يبكى على قتلى بدر من المشركين) ولابد أن يكون جاهلياً:

فماذا بالقليب قليب بدر من (الفتيان) والشرب الكرام
وماذا بالقُـليب قليب بدر من الشـيزى يكلل بالسنام

قال المرتضى: القليب هى البئر وأهل القليب جماعة قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعـة والوليد بن عتبة، وقال في المنجد الشرب بالفتح جمع شارب. وفي الأمالي قال بشر بن أبي خازم لابنته عميرة:

فمن يك سائلا عن بيت بشر فإن له بجنب الرَدم بابا
ثوى في مُلحَد لابد منه كفى بالموت نأياً واغترابا
رهين بلى وكل (فتى) سيبلى فأذرى الدمع وانتحبي انتحابا

وظاهر أنه يريد كل رجل طيب كريم سيناله البلى، وروى المبرد في الـكامل (٢) قال رجل من الخوارج في قتلى إحدى معارك المهلب والخوارج.

بسلى وسليرى مصارع (فتية) كرام وجرحى لم توسد خدودها

وقال آخر:

بسلى وسليرى مصارع (فتية) كرام وعقرى من كميت ومن ورد

(قال الأخفش سلى وسليرى بفتح السين فيهما موضعان بالأهواز) وقال المبرد ارتحل المهلب والخوارج بسلى وسـليرى فنزل قريباً منهم فقيل منهم، فقيل ما تنتظرون بعـدوكم وقد هزمتموهم بالأمس وكسرتم حدهم؟ الخ وأورد النويرى في (نهاية الأرب في فنون الأدب) (٣) الأبيات التالية للهذلى.

ألا لله درك من فتى قوم إذا رهبـوا

(١) ج ٢ ص ١٨
(٢) ج ٢ ص ١٩٤
(٢) ج ٤ ص ٢٨٥ وقد جاءت أيضاً في الأغاني ج ٢ ص ٦٤ وفي ديوان الهذليين أيضاً.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقالوا من (فتى) للحرب يرقبهـا ويرتقب ؟
فكنت (فتاهم) فيهـا إذا تدعى لهـا تثب

وفى الأغانى (١) أن أبا زبيد قال يمدح الوليد بن عقبة :

لعمر أبيك يا ابن أبى مُرىّ لغيرك من أباح لهـا الديارا
أباح لهـا أبارق ذات نور تُرَعّى القف منهـا والعرارا
بحمد الله ثم (فتى قريش) أبى وهب غدت بُطناً غزارا
أباح لهـا ولا يحمى عليها إذا ما كنتم سـنة جزارا
يريد جزراً من الجدب والشدة
فتى طالت يداه إلى المعالى وطحطحتا المقطعة القصارا

(الأبرق هو البرقة إذا اتسعت وهى أرض غليظة فيهـا حجارة ورمل وطين مختلفة ، وتنبت أسنادها وظهورها البقل والشجر نباتاً كثيراً يكون إلى جنبها الروض أحياناً : والقف ما يبس من البقول وتناثر حبه وورقه ، فالإبل ترعاه وتسمن عليه والعرار نبت أصفر طيب الرائحة . وقيل هو بهار البحر واحدته عرارة : وغزاراً جمع غزيرة وهى من الإبل الكثيرة اللبن : وطحطح الرجل ماله فرقه ، والمقطعة الثياب القصار وهى برود عليها الوشى) وقد قال فى الأغانى (٢) عن الوليد بن عقبة هـذا أنه أخو عثمان بن عفان (رض) لأمه وكان من (فتيان قريش) وشعرائهم وشجعانهم وأجوادهم ، وكان فاسقاً ولى لعثمان (رض) الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص فشرب الخمر وشهد عليه فحده وعزله وفى الأغانى (٣) أن الحطيئة قال يمدح الوليد هـذا بعد أن وصله وكان جواداً :

أرى لابن أروى خلتين اصطفاهما قتال إذا يلقى العـدو ونائله
(فتى) يملأ الشيزى ويروى بكفه سـنان الردينى الأصم وعامله
يؤم العدو حيث كان بجحفل يصم السميع جرسه وصواهله
إذا حان منه منزل الليل أوقدت لأخراه فى أعلى اليفاع أوائله

(الشيزى خشب أسود تعمل منه القصاع أى أوانى الطعام ويطلق على ما صنع من ذلك ، والردينى الرمح نسبة إلى ردينة وهى امرأة رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخط (موضع) فإذا غاب باعت ردينة مكانه وكانا يثقفان الرماح أى يقومانها ويسويانها

(١) ج ٥ ص ١٣٨ (٢) ج ٥ ص ١٢٢ طبعة دار الكتب المصرية (٣) ج ٥ ص ١٤٨

فالردينية منسوبة إلى ردينة والسمهرية إلى سمهر ، والخطية إلى موضعهما ، وعامل الرمح هو صدره ، وقال فى المنجد الخطى الرمح المنسوب إلى الخط وهو مرفأ للسفن بالبحرين حيث تباع الرماح : واليفاع كسحاب التل) .

وروى ابن فضل الله العمرى فى مسالك الأبصـار فى ممالك الأمصـار عن الشابشتى (١) أن الحجاج غضب على هند بنت النعمان لكلام خشن وجهته إليـه ، فأمر بإخراجها من ديرها القريب من الكوفة فأخرجت ومعها ثلاث جوار من أهلها ، فقالت إحداهن :

خارجات يسقن من دار هند مطلقـات بذلة وهوان
ليت شعرى ؟ أأول الحشر هذا أم محا الدهر غيرة (الفتيان)

فشد فتى من أهل الكوفة على فرسه فاستنقذهن من رسل الحجاج وتغيب فبلغ الحجاج شعرها وفعل الفتى فقال إن أتانا فهو آمن ، وإن ظفرنا به قتلناه فأتاه ، فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ قال الغيرة فوصله وخلاه وفى كتاب الحماسة للبحترى (١) قال عمرو بن مالك البجلى :

إذا شئت أن لا يبرح الود دائماً كأفضل ما كانت تكون أوائله
فآخ (فتى) حـراً كريماً عروقه
حساماً كنصل السيف حلواً شمائله
فذاك الذى يحمى لواشيك جده ويكفيك من لهو الكواعب باطله
ويحمل ما حملته من ملمة ويكفيك طلق الوجه ما أنت سائله

(البقية فى العدد القادم)

ضياء الدخيلى

(١) ص ٣٢٥
(٢) ص ٥٧

اطلب كتاب
مبادىء فى القضاء الشرعى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عالم الغيب :

الجن فى منطق الأساطير

للشيخ محمـــد رجب البيومى

وقد كان أرباب الفصاحة كلما
رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن
« أبو العلاء »

يتطلع الإنسـان الأسطورة فى تلهف ، ويطالعها مرّات عديدة فى تشوق ، وهى على غرابتها وافتعالها تبعث فى العـقل نشاطاً موفوراً ، وتخلق فى النفس متعـة حبيبة . وقد رزقت الأسطورة فى الغرب مكانة ممتازة ، فوُضعت لها الأسفار المتشعبة شارحة جامعة ، وخدمتها الأقلام القوية محللة معللة ، فهذا باحث يستنبط منها المعنى الخفى ، فإذا تعذر فهمه خلقه اختلاقاً ، وانتزعه انتزاعاً ، وهذا روائى يلوّنها بأصباغ فاتنة ، فيخلع عليها من خياله الرائع حلة زاهية ، وهـذا سمير يُطرف بها أصحابه ، فينفث فى المجلس روحاً مرحة تخلب الأفئدة ، وتسرى عن النفوس ، ولا كذلك الأسطورة العربية ، فهى من قومها فى هم ناصب ، وشجو مبرّح ، فإذا تعرض لها من بنى الضاد باحث أو قصصى أو سمير قُوبل بكثير من الاستخفاف ، وربما منى بمن يطعنـه فى ذوقه وعقله . ولو دونت الأساطير العربية فى سفر واف ورُزقت من يتوفر على دراستها دراسة منتجة مركزة ، لـكان لنا منها — كما أعتقد — معين رائق ، وكنز نادر ثمين .

ونصيب الجن من الأساطير عظيم موفور ، فقـد وضع المتقدمون عن القوم طرائف خالدة ، يطالعها القارىء فيضطر اضطراراً إلى تـكرارها وإعادتها ، لأن الجن من العوالم الغيبية المجهولة ، فكل نفس تتوق إلى استيضاح أسرارهم ، والوقوف على أساليبهم فى السعى والـكدح ، وما من إنسان تنسّم ريح الحيـاة إلا غُذى فى طفولته بعجائب مدهشـة عن الجن ، فرُددت على سمعه الغض أحاديثهم المتوهمة ، ونوادرهم المتعددة ، حتى إذا شب عن الطوق شبت معه هذه الطرائف ، فتصور الجن أبطالاً مغاوير يرهبهم الإنس ، ويذعنون لسلطانهم العتىّ ، وأنت تسأل عن سبب هذا كله فـلا تجد غير الأساطير القديمة ، تلك التى نمت وترعرعت فى نفوس العامة ، حتى أصبحت بتوالى الزمن حقائق ثابتة ، يلقنها الصغير فى المهد ، فـلا تبارح مخيلته حتى يغط فى رقاده الأبدى العميق ! !

ولا نجد بأيدينـا من المصادر المعتمدة فيما يتصل بالجن غير ما جاء فى القرآن الـكريم والسنة الصحيحة ، فقـد ذكر الله عز وجل فى كتابه بعض ما كان يعتقده الجن ، حيث كانوا يعوذون رجال منهم إذا ضربوا فى البيداء واشتمل عليهم الظلام حذراً مما يتأكدونه من بطشهم العارم ، وقوتهم الخارقة ، كما ذكر اتصال الجن بالسماء قبل البعثة النبوية ، فيسترقون السمع ، ويتنبئون بالغيب ، وبين — جل ذكره — كيف حرّم عليهم الاستراق . فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . ولك أن تفهم من ذلك سلطان الجن على الإنس ، وكيف شغلوا جانباً من تفكير الأعراب وتأملهم ، فلا غرو أن وضعوا عنهم الأساطير وأكثروا من نوادرهم العجيبة ، فيما سجلته عليهم كتب الأدب وصحائف التاريخ !!

والجن فى كل زمان ومكان لغز مبهم تُبذل الجهود الدائبة فى حله فلا نستطيع أن نفك غامضه . ومن التوافق العجيب أن الأساطير الدائرة حول هذا النوع من المخلوقات ، تـكاد تـكون متحدة متشابهة ، فـكما تزعم الأساطير العربية قدرة الجن على التشـكل والتنوع ، وملازمتهم الأمكنة الخالية ، وظهورهم مع الأشباح فى حندس الليل ، كذلك نجد الأساطير الأوربية تؤكد هـذا الزعم ، واقرأ إن شئت ما سطره شـكسبير فى روايتى : « العاصفة » « وأبيرون » تجد حديثاً مسهباً عن الجن لا يكاد يخرج عما تطـالعك به الخرافات البـدوية ، بل عما سمعته فى طفولتك من العجائز الأميات !! اللهم إلا بعض اختلافات يسيرة تحتمها طبيعة المـكان ، وظروف المناخ . فالأخبار العربية [مثلاً] تؤكد ظهور الجن بكثرة فى الفيافى والقفار ، والأساطير الأجنبية تعلن وجود هذا النوع فى أعماق المحيطات ، وشواطىء البحار . وقد يكون ما ذكرناه من التشابه راجعاً إلى اتفاق المصادر السماوية فى الحديث عن الجن ، فـكانت عنصراً هاماً للتوليد والاستنتاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويجب ألا ننسى أن ثقافتنا الحديثة ، قد وقفت حائلا منيعاً أمام أساطير البدو عن الجن وسائر الكائنات الغيبية ، فلم تصادف من الذيوع ما صادفته الخرافات الأجنبية ، لأن القريحة العربية الحديثة التي ارتوت بفيض زاخر من العلوم العقلية تزن كل حديث بميزان المنطق ، فما رفضه الفكر السديد حاربته وفندته ، ولكن الغربيين قد احترموا الخيال كما احترموا الحقيقة على السواء فهم مع تسليمهم بوهم هذه الأساطير قد اتخذوها مجالاً للعبرة والعظة ، فاستنبطوا منها المغزى الخلقي ، والمرمى الإنساني . وقد تكون الأسطورة تافهة لا تهدف إلى غرض ، ولعل واضعها أبله غر نطق بها كما اتفق له ، ولكنهم يكدحون أذهانهم في التحليل والاستنتاج حتى يظفروا بما يريدون ، أما الذهن العربي الحديث فقد احتقر هذه الأساطير احتقاراً تاماً ، ورمى قائلها وسامعها معاً بالجنون والغفلة ، وأنا لا أدرى لماذا لا نجعلها من قبيل الأمثال الفرضية الذائعة في الأدب الجاهلي ، فنسلم أولا بوضعها ، ثم نذلف إلى استنتاج العبرة من حوادثها كما يفعل الأوربيون سواء بسواء ؟...

على أن أكثر هذه الأساطير تهدف إلى الشجاعة والمروءة وما إليهما من الشمائل التي تشربها البدوي ، وسرت في عروقه مع الدم في مجرى واحد ، فكان علينا أن نجعل منها أداة صالحة للتهذيب والتعليم فتضم إلى غرابة المنحى وطرافة التفكير ، روعة المغزى وجمال الهدف ، وإليك هذا المثال مع الإيجاز .

خرج عبيد بن الأبرص إلى الصحراء في نفر من صحبه فسد عليهم الطريق شجاع أسود قد فتح فمه فتدلت مشافره كالبعير ، وكان غريب الخلقة ترمى عيناه بالشرر حتى ما يطيق أحد أن ينظر إليه ، وقد احترق جانباه من الرمضاء فاصطبغا بلون مرعب ، فصاح القوم بعبيد : دونك هذا الجني فاقتله ، ولكن الشاعر عمد إلى إداوة من ماء فصبها عليه ، فانفتل إلى جحره شاكراً قانعاً ، ثم سار القوم فقضوا حوائجهم وقفلوا راجعين ، غير أن عبيداً قد أضل بعيره ، فسدت السبل في وجهه ، وداهمه الليل بكلكله الثقيل ، فوقف متحيراً لا يدرى ما يصنع في ظلام البيداء وإذا بهاتف من عدوة الوادي يصيح :

يا صاحب البكر المضل مركبه ... دونك هذا البكر منا فاركبه

فالتفت الرجل فإذا بكره بجانبه ، ومعه بكر آخر يرشده إلى الطريق ، فركب والخواطر تملأ فؤاده ورأسه ، إذ يفكر في صاحب هذه اليد البيضاء ، من هو ؟ وكيف اختصه بالرعاية ؟ ولكن الهاتف لا يتركه يمن في شعاب أوهامه بل يصيح :

أنا الشجاع الذي ألفيته رمضا ... في رملة ذات دكداك وأعقاد
فالخير أبقى وإن طال الزمان به ... والشر أقبح ما أوعيت من زاد

فعلم الشاعر أن الجميل قد رد إليه وأوفاه ، فأخذ السير إلى مقصده في فرح وابتهاج !!

فماذا نقول عن هذه الأسطورة ؟ إننا نتعب أنفسنا في إنكار وقوعها ، كأنه — وهو الواضح البديهي — مجال فسيح للنقاش والجدال ، أما أن نستخرج منها المغزى الرائع ، فنبين لقارئها كيف ينفع المعروف صاحبه فهذا ما لا تفكر فيه على الإطلاق ، فلا عجب أن ضاعت لدينا قيمة هذه الأساطير !!

وقد يدهش القارىء لازدحام الأسفار الأدبية بأقاصيص الجن ، بل ربما تعجب ممن عكفوا على اختلاقها عكوفاً دائباً ، والحق أن هناك عوامل قوية فرضت هذا العكوف فرضاً لازماً ، حيث كان الواضع يجد في عمله مغنما وافراً يدفعه إلى الاستزادة والتوليد ، فكثير من الناس — كما أسلفنا — يحرص على الإلمام بما في العوالم المجهولة من أسرار ، وكأنه غضب أن يقف علمه عند ما يقع تحت سمعه وبصره ، فعمد إلى استنطاق الأساطير ، وجمع الخرافات ، وخاصة إذا كان فيما يحصله من الغرابة والطرافة ما يدعو إلى استيعابه ، فهو يلجأ إلى من يتوسم فيه المعرفة ، فيمتعه بنادرة معقولة تدخل في هذا الباب ، وما تلبث أن تسير بها الركبان من مكان إلى مكان ، وهي في كل دقيقة تتزايد وتتضخم ، ويجرى فيها الخيال الخرافي مطلق العنان حتى تخرج من دائرة المعقولات إلى حيز المحالات ، وأنت تقرأ الأسطورة الجنية في كتاب متقدم فلا تستغربها ، ثم تجدها انتقلت إلى كتاب آخر وقد اكتسبت كثيراً من المبالغة والتهويل فتقف عندها كالمستغرب ، فإذا انتقلت إلى سفر ثالث بدت صورة مجوفة منضخمة ، تتناكر مع الصورة الأولى تمام التناكر ، فإذا كان التأليف المقيد لا يسلم من الافتعال المدلس ، فما بالك بالسمر الذي لا يعرف القيود والحدود بل ينطلق من الأفواه كما شاء رواته الخياليون . ومهما يكن من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شيء فإن الأسباب الدافعة إلى الاختلاق لا تخرج عن عوامل ثلاثة : دينية ، مادية ، خلقية . وماذا نصنع وقد تكون لنا ثالوث مرح ساذج يمتع الأفئدة ويرفه عن النفوس !!

ونحن بادئون بالحديث عن العامل الديني ، فنذكر أن مفسري القرآن ورواة الحديث ، وأصحاب السير ، قد ساهموا بنشاط وافر في هذا الميدان ، فقد عولوا جميعاً على استهواء العامة بما يقصون من أنباء ، كما وقع في نفوسهم أن الغاية تبرر الوسيلة ، فلا عليهم إذا وضعوا التفاسير الكاذبة ، ولفقوا الأحاديث الموضوعة ، ما دامت تجذب إليها القلوب وتدفع سامعها إلى الإيمان والتصديق ، فإذا أراد أحد هؤلاء أن يحض على الصدقة — مثلا — لجأ إلى الخرافات المزعومة فأسهب فيها كما أراد ، ثم لا ينسى أن يخص الجن بنبذ كريمة من وعظه ، فينتقل عن الحاكم بأسناده ما ملخصه أن أبي بن كعب رأى شبحاً يأكل من تمره ، فقال له من أنت ؟ وأمسك بيده ، فإذا هي كف كلب ، فصاح به أجني أم إنسي ؟ فقال بل جني ! قال وما حملك على ذلك ؟ فقال له : لقد علمت أنك تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك لتثاب من الله ، ثم أخبر الرسول بذلك فقال : صدقك الخبيث .

وإذا أراد أحدهم أن يدفع الناس إلى الاستغفار ، وذكر الله لا ينسى أن يلم بحديث الجن فيذكر جانباً من استغفارهم وأدعيتهم ، ويزيد فيحكي من الأخبار الملفقة ما لا نجد داعياً لنشره على القراء . وقد يبالغ بعضهم فيخص آيات من القرآن بفوائد نافعة هي إبعادها الجن عن كل مكان تقرأ فيه ، وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري صفحات مملوءة بهذه الأعاجيب !! وقد نسب أكثرها زوراً وبهتاناً إلى رسول الله ، وليت شعري ما نقول لهؤلاء الذين أسدلوا على عقولهم حجباً كثيفة حين أتعبوا أنفسهم في تسطير هذا الهراء .

على أن وضاع الحديث لم يبلغوا شأو رواة السير في هذا المضمار ، فقد تفنن الأقدمون من المؤرخين في اختراع الأوهام الباطلة ، أو على الأقل في تسجيلها بكتبهم المتداولة دون مناقشة أو تعليل ، فما من كاتب متقدم يذكر بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلا تعرض لما قالته الجن في ذلك من الشعر !! وما أوحته إلى الكواهن من غريب الأنباء ، وقد يستغل كثير منهم ما ورد في القرآن عن الجن فيفسره كما يمليه هواه ، وما ظنك بتفسير مشوه ، لا يعمد إلى إيضاح المعنى وتركيزه بل يحيطه بسياج مديد من الأساطير ، كأن كتاب الله وصحف السيرة لا تفهم بغير هذه المحالات ؛ وقد زعم بعضهم أنه ركب بحر الخزر فضلت ريح الشمال مركبه حتى بلغ جزيرة قاحلة ليس بها أنيس ، فشاهد شجرة ضخمة قد استند إليها شيخ هائل ، فتقدم إليه ، فسأله الشيخ من أنت ؟ فقال من العرب ؟ فجعل يسأله عن الجرهمي وعن فلان وفلان ، حتى انتهى إلى عبد المطلب فسأل عن ابنه محمد الهادي ، فقال له : قد مات منذ زمن ، فشهق شهقة عظيمة ، وانتفض كالفرخ ، ثم أخذ ينوح ويبكي ، وقال أنا السفاح بن الرقراق الجني ، أعرف التوراة والإنجيل ، وقد اختبأت في هذه الجزيرة يوم أن أطلقت الطوال المقيدة ، من وقت سليمان ، وكنت أطمع أن أرى محمداً ، فإذا رجعت إلى المدينة ، فأقرأ السلام على قبره وبلغه أطيب التحيات » !!

فهذه أسطورة مقتضبة من مئات تدور حول التبشير بنبوة الرسول ، ولا أدري كيف كانت تقابل من السامعين بالارتياح ، وكيف أبقى عليها الزمن فخلدت في بطون الأسفار ؟ وليس بعيداً أن نرى في العصر الحاضر من يتعصب لها كمعجزة خارقة ؟ وكم في الناس من أغبياء !

ويجب أن يفهم أننا لا ننكر البشائر النبوية التي آذنت ببعثة الرسول العظيم ، بل نؤيد جميع ما ذكرته الكتب الصحيحة ، مما يخضع للناموس الطبيعي ، ولا يصطدم مع التفكير المستقيم ، ومن ذلك — فيما يتعلق بهذا النوع — ما روى عن إسلام سواد بن قارب رضي الله عنه ، فقد كان في جاهليته كاهناً تهبط الجن عليه بما تسترق من السمع ، فأخبر فيما أخبر به ببعثة الرسول ، ووقع الإيمان في قلبه فوفد على الرسول بمكة وأنشده

أتاني رئيي بعد ليل وهجعة ... ولم يك فيما قد عهدت بكاذب
ثلاث ليالٍ قوله كل ليلة ... أتاك رسول من لؤي بن غالب
فكن لي شفيعاً يوم لاذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فهذا خبر لا يعدم الدليل على صدقه ، لأن استراق السمع ثابت بنص القرآن ، وسواد رحمه الله قد أسلم لربه ، وقد اعتز بإيمانه اعتزازاً لا يحتمل معه تخرص وادعاء ، حتى أن عمر بن الخطاب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد ذكره مرة بكهانته فى الجاهلية فغضب غضباً عرف فى وجهه ، فاعتذر إليه أمير المؤمنين وقال له يا سواد ، والله ما كنا عليه من عبادة الأصنام شر من كهانتك . فليس بمعقول أن يتحدث عن سبب إسلامه بما لم يقع ، فهو إذن صادق مصدق ، وإنما الكاذب من يروى الأساطير التى تنتهى إلى عهد سليمان بن داود ثم يكدر بها حياض السيرة المطهرة ، وأولى بها أن تأخذ مكانها فى « ألف ليلة وليلة » فتتلاقى الأكاذيب ، وتمتزج الغرائب بالأعاجيب .

(البقية فى العدد القادم) **محمد رجب البيومى**

الأدب والفن فى أسبوع

للأستاذ العباس خضر

محاضرات المصريين بالسودان :

تهتم الآن وزارة المعارف بتنظيم المحاضرات الثقافية التى يلقيها الأساتذة المصريون بالسودان ، وأدرجت فى الميزانية لهذا الغرض ألفى جنيه ؛ وذلك بعد أن رأت إقبال الجمهور المثقف بالخرطوم على المحاضرات التى نظمتها فى العام الماضى مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم ، فرأت تدعيم محاضرات المدرسة بمحاضرات أخرى فى نوادى الخرطوم يلقيها المفتشون الذين يعملون بالمراقبة العامة فى السودان.

وليست محاضرات مدرسة الملك فاروق فى العام الماضى ، أول تجربة فى هذا السبيل ، ففى سنة ١٩٤٣ أوفدت وزارة المعارف بعثتين من كبار أساتذتها ، فألقوا محاضرات بأندية الخرطوم وأم درمان ، كان لهما طرب فى نفوس إخواننا بأعلى النيل ، وأقول « طرب » وأنا أقصد معنى الكلمة .. فقد كنت هناك فى ذلك الوقت ، ولا أزال أذكر كيف امتلأ نادى الخريجين بأم درمان — امتلأ ذلك النادى الرحيب واحتشدت فيه الجماهير لسماع محاضرة الأستاذ السباعى بيومى فى « إعجاز الفاصلة فى القرآن » وشاع الطرب فى الحاضرين حتى كانوا يهتفون عند الفواصل : الله! كأنهم — لشدة تأثرهم وعمق تذوقهم — فى حفل غناء

ويوم ذاك أيقنت أن هذه الثقافة العربية الإسلامية هى الغذاء الروحى المشترك بين أهل الوادى فى الشمال وفى الجنوب ، كما يشتركون فى الغذاء المادى من ماء النيل .

وأريد أن أفرغ من ذلك لأنبه على أمر آخر فى هذا الموضوع ، ذلك أن الوزارة تقصر بعثات المحاضرين المصريين إلى السودان ، على أساتذتها والمفتشين بها . ولكنى أقترح عليها أن تدعو بعض الكتاب والمؤلفين ، من غير رجالها ، الذين يعرفهم السودانيون بالقراءة لهم ، وهم ولا شك يودون رؤيتهم وسماعهم ؛ فتخرج بذلك هذه المحاضرات الثقافية عن النطاق الرسمي . ولا أخفى أن أكثر محاضرات المفتشين والمدرسين ذات طابع مدرسى ، وقد أشارت إلى ذلك بعض صحف الخرطوم فى التعليق على بعض محاضرات سنة ١٩٤٣

مؤتمرا اللغويين والمستشرقين :

عقد بباريس فى أواخر يولية الماضى وأوائل أغسطس الحالى ، مؤتمران كان لمصر فيهما نشاط ملحوظ ، وكان للغة العربية فى أحدهما ظفر يغتبط به ، وهما مؤتمر اللغويين ومؤتمر المستشرقين ، وقد انعقدا على التعاقب ، كان أولهما مؤتمر اللغويين وقد اختتم أعماله يوم ٢٧ يولية ، وكان مما قرره تمثيل مصر فى لجنته الدولية الدائمة .

وكان بعد ذلك مؤتمر المستشرقين ، وكان من الرغبات التى أبداها أن تعنى دول العالم أجمع بإدخال معلومات عامة عن المدنية الشرقية فى برامج التعليم مع العناية بالمدنية الإسلامية وما تبقى من المدنيتين الهندية والصينية ، فإنه لا يجوز لأهل الغرب أن يجهلوا ما كانت عليه مدنية أهل الشرق الذين يؤلفون نصف سكان العالم .

وظفرُ اللغة العربية الذى يدعو إلى الاغتباط ، كان فى الجلسة الختامية لمؤتمر المستشرقين ، إذ اقترح الدكتور محمد يوسف موسى الأستاذ بالأزهر أن يوافق المؤتمر على قبول التباحث باللغة العربية فى المؤتمر القادم ولا سيما عند بحث المسائل الإسلامية . ونوقش الاقتراح ، ثم تقرر قبوله .

وقد بدا نشاط ممثلى مصر فى المؤتمرين ، إذ ألقوا بحوثاً ،

وقدموا تقارير واقتراحات ، كانت موضع التقدير ، واسترعى الانتباه ما أبداه العلماء المصريون فى علم الآثار القديمة مما يدل على بلوغهم فيه درجة عالية ، وقال بعض الأعضاء إنهم أصبحوا فيه مساوين لسائر علماء الآثار فى العالم .

الدكتور طه حسين :

ويمثل الدكتور طه حسين بك فى هذين المؤتمرين ، مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وتدل الأنباء الواردة على وفرة نشاطه فيهما ، وقد كتب للأهرام مقالا — من المقالات التى يوافيها بها من باريس — نشرته بعنوان « بين مؤتمرين » أبدى فيه شفقته بمتابعة أعمال لجانهما فتمنى أن يظفر بـ « تعدد الأجسام » فيستطيع ، كما يقال عن أهل الخطوة ، أن يحضر الاجتماعات المتعددة المنعقدة فى وقت واحد ... أى يحضرها كلها فى وقت واحد أيضاً ! « ولكن هيهات ، إذا أتيح لك أن تستمع لحديث باق فى هذه الساعة من ساعات الضحى فقد قضى عليك أن تحرم أحاديث كثيرة جداً تلقى فى نفس هذه الساعة فى الغرفات المجاورة أو فى الغرفات البعيدة أو فى الدور الثانية عن هذه الدار التى أنت فيها . » ومما تضمنه مقال الدكتور طه أن المصريين كانوا قلة فى مؤتمر اللغويين ، وكانوا كثرة فى مؤتمر المستشرقين ومع ذلك فاتهم أكثر ما ألقى فيه من حديث « لم يشهد المصريون إلا ثلاثة أقسام من عشرة أقسام ، لا لأن أجسامهم لم تطاوعهم ، ولا لأن عددهم لم يطاوعهم ، بل لأنهم مع الأسف الشديد لم يؤتوا من العلم إلا قليلا ، فهم قد استطاعوا أن يشاركوا فيما يتصل بالدراسات الإسلامية وبالدراسات السامية وبالآثار المصرية القديمة والقبطية والإسلامية ، فأما ما عدا ذلك من شؤون الترك والفرس والهند والصين ومن شؤون الدراسات اليونانية الرومانية فى الشرق القريب والبعيد فلم يشارك المصريون فيه لأنهم لا يحسنونه ولأنه لا يدرس فى بلادهم ، ولأن بلادهم لم تفكر بعد فى أن تهيىء أبناءها للتخصص فى فنون العلم على اختلافها »

الدكتور طه بين مصر وفرنسا :

وعلى ذكر المقالات التى يوالى الدكتور طه كتابتها للأهرام من باريس — أقول إنه لوحظ فى بعض عباراتها ما يدل على أنه عاتب على مصر ، أو غير راض عما يتعلق بشخصه فيها ، أو كما تقول بلغة الحديث العامية (واخد على خاطره) فقد قال فى أولى هذه المقالات إنه سيعود إلى مصر يوم تدعوه إليها . . وفى المقال « بين مؤتمرين » المتقدم ذكره ، ختم الحديث عن وفد مصر غير المستكمل للدراسات المختلفة بتوجيه الكلام إلى الهيئات التى أوفدته ، فقال « وأول هذه الهيئات المختصة مجلس الوزراء الذى أوفد إلى المؤتمر وفداً مصرياً أستثنى نفسى منه ، ثم أقول بعد ذلك إنه شرف مصر حقاً » وجاء فى بعض الأنباء أن الدكتور طه سيسافر إلى إحدى القرى الفرنسية للاستجمام ، ثم يسافر إلى إسبانيا لإلقاء محاضرات أدبية ببعض معاهدها وجامعاتها ، تلبية لدعوة حكومتها . ولم يرد فى النبأ ذكر لعودته إلى مصر .

ويدل استثناؤه من الوفد الذى أوفده مجلس الوزراء ، على أن الأمر إنما هو بينه وبين الدولة ، ولكن ألم يوفده مجمع فؤاد الأول للغة العربية وهو من الدولة ؟ ولنفرض أن الدولة جافته فى بعض الأمور ، فهل هذا يؤدى إلى التدلل على مصر وهجرانها وهى تقدره حق قدره ؟ وماذا صنعت فرنسا للدكتور طه مما لم تحققه له مصر ، فرضى عنها وأخذ أمورها مأخذ المحب ، كما تدل على ذلك مقالاته الأخيرة بالأهرام ؟

على أننا لم نسمع قبل اليوم أن أحداً من كبارنا أمثال الدكتور طه ، ممن نالهم بعض العنت فى عهود غير أوليائهم ، قد غضب من مصر وهجرها إلى غيرها من البلاد . ولعل ذلك لأنهم ليس لهم « فرنسا » يهيمون بها ... وهل تحتضن الدولة كل كبار الأدباء ؟ وهل هذا لازم لعيشهم فى البلاد ورضائهم عنها ؟

أكتب هذا وأنا آسف لحرمان مصر فى هذه الآونة المضطربة قلم طه حسين الفياض ، وهى أحوج إلى صولاته فى صميم شؤونها المعقدة المختلفة ، منها إلى ما يلقى فى حجرات المؤتمرات القريبة والنائية ... وإن ذلك لأجدى عليها من دراسة شؤون البلاد التى تركب الأفيال !

الكبراء والكتب :

قرأت فى مقال للأستاذ المازنى بالعدد الأخير من أخبار اليوم ، أنه كان فى مجلس جاء فيه ذكر بعض الذين يعدون أنفسهم من القادة أو الزعماء ، فقال « إنى أراهن بما تشاءون — وأنا واثق أنى لن أخسر — أنه ليس فى بيت « فلان » — ولا داعى لذكر اسمه — كتاب واحد حتى ولا رواية بوليسية ! » وقال

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

هذا مثل واحد أكتفي به لأنه يغني عن غيره .

وقد ذكرني هذا بما قصه علي صديق س قال : عهد إلى أن أقدم إلى بعض الكبار هدايا : نسخاً من كتاب أخرجته لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري ، تنفيذاً لقرار وزارة المعارف القاضي بهذا الإهداء ، فقدمت على فلان — ولا داعي لذكر اسمه كما يقول المازني — وقدمت له الكتاب ، فتناوله ونظر إلى غلافه ثم قال متلطفاً أو متظاهراً بالمعرفة : نعم . أبو العلاء المعري ! بضم الميم .

وهذا الذي جرى لميم المعري ليس أمراً هيناً .. فأقل ما يدل عليه عدم استحقاق الهدية ! وكم هناك ممن يستحقونها ولا تهدى إليهم ، لأن الوزارة تهدي هذه الكتب إلى الكبراء ، وأصحاب المناصب العالية ، وأكثرهم لا يقرءونها ولا يعرفون قيمتها ، ولا تنظر إلى غيرهم من الأدباء والمتأدبين الذين يلاقون العنت في استعارتها من دار الكتب المصرية .

احتلال الأوبرا :

يظهر أن المهزلة التي تمثل سنوياً على مسرح الأوبرا — ستتابع فصولها في الموسم القادم ... أعني الفرق الأجنبية التي تجلب من أوربا كل عام لتسلية (الخواجات) والترفيه عن أبناء الذوات ... فتحتل المسرح القومي أكثر الموسم بعد أن تجلو عنه الفرقة المصرية وهي أحق به .

فقد قال مراسل الأهرام من باريس إن الأستاذ سليمان نجيب بك مدير دار الأوبرا الملكية وصل إلى باريس وصرح له بأنه سيدعو إلى مصر بين شهري يناير ومارس القادمين ، فرقة مونت كارلو لمدة ١٥ يوماً ، وفرقة الأوبرا الإيطالية لمدة أربعين يوماً ، كما أنه سيدعو إليها بيار بلانشان لمدة شهر مع فرقة تمثل خمساً من رواياته . ويضيف إلى ذلك أنه يرجو أن يوفق لإرسال فرقة الكوميديا المصرية إلى فرنسا وانجلترا في مقابل الفرق الأجنبية التي تستقبلها مصر .

وأنا أسأل أولا : ما هي فرقة الكوميديا المصرية التي يرجو أن يبادل بها ... ؟ هل عندنا فرقة بهذا الاسم ؟ إن كل ما لدنيا هي الفرقة المصرية التي تشرف عليها وزارة الشئون الاجتماعية وهي ليست كوميدية ، والفرق الأخرى معطلة بفضل هذه السياسة التي منها استجلاب الفرق الأجنبية .

المسألة ليست إلا الاسترا للموقف بتسميتها « تبادل فرق » فقد استنكر الرأي العام في السنة الماضية الاستمرار في استيراد الفرق الأجنبية ، وحمل عليه النقاد حملات موفقة ، وكان لنا في ذلك مشاركة . فأريد اتقاء الشعور العام بهذا « الرجاء » وقد تطورت ظروف البلاد بعد ذلك حتى صرنا إلى حال لم يكن يصح فيها أبداً مجرد التفكير في شيء من هذا الذي يزمعه مدير دار الأوبرا . وقد قال النقاد وقلنا في العام الماضي . والجديد الآن أننا نحارب في فلسطين — نقاتل ونهادن وندفع العدوان ونستأنف القتال — وهذا يقتضي تجنيد الجهود والأموال لمواجهة الجهاد ، ولهذا نلغي الحفلات الرسمية ونستغني عما يماثلها من الكماليات .

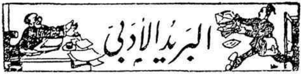
وقد وقفت دول الغرب ضد قضية العروبة ، وهذا يقتضي أن نقف منهم موقف الحازم الذي لا يتفق معه أن ندعو فرقهم لاحتلال مسرحنا القومي ، ولا يكفي اختصار المدة المعتادة ، لأن الذي يدعو إلى هذا الاختصار هو الذي يدعو إلى الاستغناء التام أراني أخذت في بيان ما هو ظاهر بالبداهة ... وإني والله لأخجل أن أرى في بلادنا وفي هذه الظروف التي نحن فيها ، تلك الفرق التي يراد قيادتها إلى مصر في الموسم القادم .

من طرف المجالس :

كان الحديث في قضية فلسطين وموقف هيئة الأمم المتحدة منها ، وهو حديث المجالس الغالب في هذا الظرف . قال قائل : عجباً لهذه الهيئة ... كونتها الأمم الكبيرة ، لتحل — فيما تحل — المشاكل التي تنشأ بينها ، وهذه — مثلا — مسألة برلين ، لم تعرض عليها ولم تنظر فيها ، بل عمدت الدول المؤلفة لها إلى الباحثة فيها ، خارج الهيئة ، بالمؤتمرات الثلاثية والرباعية . أما فلسطين فما أسرع ما تبت في شؤونها ، لا لتحمي السلام وإنما لتحمي دولة إسرائيل المزعومة من بطش العرب ، فهل تكونت الأمم المتحدة لتكون «هيئة شرف» بالنسبة لمسائل الأمم الكبيرة ، ثم لتكون أداة فعالة في خدمة الأغراض الاستعمارية والصهيونية ؟ .

قال آخر : ألا ترون أن هيئة الأمم المتحدة هي أيضاً هيئة مزعومة !

عباس خضر



إلى فضيلة الشيخ أبو العيون :

كان تجلدك الذى أمتنع على صدمة تلك الملمة ؛ وثبات جأشك فى عصف ذلك الخطب ؛ موضع إكبار الجميع ؛ حتى عدت سابقة لفضيلتكم فى هذا الميدان ، لقد تخطفت المنايا السود ولدك — وهو يمرح فى أعطاف الرابعة عشر ربيعاً ، ويختال فى حلة نسجت من طراءة العمر ، ونضارة الصبا ، لا تحوكها أنامل الحياة غير مرة ؛ فها هو ذا الشاب يلوذ بحمى — المستشفى — ليكف عادية الداء عن شبابه ؛ فإذا فى ارتقابه بهذه الدار تلك السفينة التى تقلع بالإنسان إلى الشاطئ المجهول . ويهبط النبأ الفاجع على قلب — الشيخ — يا أسلاك البرق — قدحت أى زناد ! ! وأطرت أية شعلة بفؤاد — الشيخ — المرهف الشفوق . أية ناسفة تحمل أمثال هذه الأنباء التى تنزل فى عالم الشعور ؛ والإحساس ؛ وأى لغم تفجره بين الجوانح تلك الكوارث . ولكن قوة إيمان الشيخ ، قد استطاعت أن تحول بين الشيخ ، وبين ما تستهدف له القلوب . فيأبى الشيخ . وهو السكرتير العام للأزهر والرجل الموصول بأفئدة الأمة ؛ أن يذيع نعيه فى الصحف ولا حتى بين الأصدقاء الأقربين .

وتوجه فى قلة قليلة لا تعدو أصابع اليد الواحدة إلى — دار المستشفى — وحمل قطعة قلبه إلى حيث يوسدها المضجع الأخير وصلى عليها حيال القبر ؛ وعاد الشيخ ببعض النفس ؛ والبعض فى القبر وتجلس إلى الشيخ فإذا هو باسم الثغر ، طلى الحديث . مؤنس المحضر . تدور أحاديث الدين ، والأدب ، والاجتماع ، كأننا لسنا فى دار ثكلت عزيزاً ؛ ولا بجوار شيخ حثى التراب على معارف كان يخشى عليها الثقل من موطئ الذر .

لم أكتب هذه الكلمة لتكون عزاء فأنت ، أيها الشيخ ، أسمى من أن يسوق العزاء سائق ؛ ولكن أريد أن أقدم نموذجاً لما تكون عليه الرجولة فى الشدائد ؛ وأن يعرف الناس السنة الإسلامية التى يجمل بهم أن يستنوها مع من يشيمون .

محمد عبد الحليم أبو زيد

١ — ولم لا نسأل عن أشياء ؟

أهى من عالم الغيب الذى استأثر الله بعلمه؟ أم هى من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة فيكفر جاحدها ؟ أم نحن نشك فى روايتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصورتها الحاضرة ؟ أم أغلق باب الاجتهاد فى فروع اللغة كما أغلق عند جمهور العلماء فى فروع الفقه ؟ اللهم لا هذا ولا ذاك ؛ وإنما قصدت فى كلمتى السابقة أن ألتمس الوجه الصحيح الخالى من الحدس والافتراض والتكلف لورود كلمة (أشياء) فى القرآن الحكيم على صورة الممنوع من الصرف ، وإن بدا رأيى جريئاً غير مستساغ عند بعض الناس فحسبى أن يكون رائدى حسن النية ، وأن أفتح البحث أمام الذين يبحثون فى وسائل تيسير النحو فى هذه الآونة على المتعلمين حتى اقترحوا حذف (الممنوع من الصرف) من منهج التعليم الابتدائى لا نزاع فى أن البحث من الجفاف بحيث لا يحمل الخوض فيه على صفحات المجلات ، ولذلك عرضته ملخصاً فى الكلمة الأولى وما زلت على خطتى فى هذه الكلمة ، وإن عسيراً أن أجشم القارئ درس موضوع من أيسر مسائله ادعاء بعضهم أن (أشياء) اسم جمع مثل (طَرْفَاء) قدمت لامه فصار على وزن (لَفْعاء) ؛ كل ذلك ليبرروا وروده ممنوعاً من الصرف فى سورة المائدة ، وأنا بلا ريب أستحسن كثيراً رأى (الكسائى) الذى أورده الأستاذ الفاضل محمد غنيم فى كلمته القيمة وملخصه أن (أشياء) جمع (شىء) جاء على صيغته الأصلية ، ولكن منع صرفه لكثرة استعماله فى الكلام تشبيهاً له بالاسم المؤنث المنتهى بالألف الممدودة ، هذا أشبه بالحق ، وأدنى إلى حسن الذوق ولكن ماذا لو التمسنا للمسألة وجهاً آخر ؛ مع التسليم المطلق بصحة الرواية ، أنا لا أزال أقول إن ورود الكلمة على صورة الممنوع من الصرف مبنى على القاعدة النحوية المشهورة التى أوردها (ابن مالك) حيث قال :

ولاضطرار أو تناسب صرف ذو المنع والمصروف قد لا ينصرف

وقد طابق هذه القاعدة كثير من استعمالات العرب ، وخرّج عليه بعض آى الذكر الحكيم ؛ وقد أشرت إلى ذلك فى الكلمة السابقة ؛ والمسألة ترجع إلى الذوق الموسيقى المعبر عنه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(بالتناسب) فى كلام (ابن مالك) وإنه لو وردت (أشياء) مصروفة فى الآية الكريمة (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) لتكرر حتما مقطعان بلفظ واحد ، وكان ذلك مخلا إلى حد ما بحسن الجرس والتناسق ولا شك أن القرآن الكريم فى المكان الأول من رعاية هذا التناسق ، والسلامة من كل مظان التنافر ، وهذا — كما قلت — من أعظم وجوه الإعجاز ، ولولا ذلك لجرى على كلمة (الأشياء) ما يجرى على كلمة (أفياء) وأمثالها من جموع القلة التى توازنها ، ولا وجه للقياس على توالى المقطعين بتكرار (إن) فى قوله تعالى : (ما نزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير) كما يقول الأستاذ العجمى ، فإن القياس مع الفارق كما يقولون ؛ إذ من الممكن بل من الحسن الوقف على كلمة (شىء) فى هذه الآية وفى الآية الثانية التى أوردها الأستاذ العجمى ، ويكون البدء بما بعد كلمة (شىء) فى الآيتين مما يزيد المعنى قوة ؛ وإذاً لا يتوالى المقطعان ، على أن همزة (شىء) مسبوقة بحرف لين صامت وهمزة (أشياء) مسبوقة بحرف مد صاعد ولذلك تأثيره فى ثقل المقطعين ، أما كلمة (أشياء) فى آية المائدة (وهى محل البحث فإنها مرتبطة بما يليها من الآية الكريمة ارتباط الموصوف بصفته ؛ والصفة هنا قيد فى صاحبها ، فلا بد من وصلهما حتى يكون معنى النهى فى الآية واضحا ولا بد إذاً من توالى المقطعين ، وهذا ما أجمله علة المنع من الصرف ؛ وعلى ذلك يمكن القول — فى غير حرج — إن ورود كلمة (أشياء) غير مصروفة راجع إلى الجو المحيط بها فى الآية الكريمة فلو خرجت منه جاز عليها ما يجوز على سواها .

ولا محل بعد ذلك للاعتراض الذى أدلى به الأستاذ محمد غنيم وخلاصته أنه لو كانت الكلمة ممنوعة لضبطت همزتها الأخيرة بالجر من غير تنوين ؛ فإنها بلا نزاع غير مصروفة (فى الآية الكريمة) فيجرى عليها حكم الممنوع من الصرف كاملا وتجر بالفتحة ؛ ولكن لمنع صرفها سبباً فنياً غير الذى قالوه ؛ فهو فى رأى المتواضع (ولا يؤاخذنى الأستاذ العجمى) مبنى على اعتبار حسن الجرس والتناسب وعند القدامى الذين ندين لهم بالحق وعرفان الجميل مبنى على أسباب شتى ألممنا إلى بعضها فى صدر المقال .

٢ — أغلاط مشهورة :

كثيراً ما نقرأ فى الصحف والمجلات بَلْه كراسات الطلبة والتلاميذ — كلمات جرت على الألسنة ، واستفاضت ؛ حتى ليحسبها من قلت درايتهم بمتن اللغة من الصحيح ؛ وأمل من الخير للغة ودارسيها ، أن يتعقب أهل الدراية هذه الكلمات بالنقد البرىء والإرشاد الهادىء السديد ، وعلى منابر الصحافة العالية متسع لمن أراد الإصلاح ؛ ومن ذلك أنى قرأت أمس فى (الأساس) لشاعر ناشىء مقطوعة ظريفة بدأها ببيت مشتمل على كلمة (النضوج) وفى باب (الكتب والمؤلفات) فى (الاخوان المسلمون) كلمة قيمة فى التنويه بديوان (أين المفر ؟) للشاعر النابغة الأستاذ محمود حسن اسماعيل ورد فيها كلمة (خصوبة الخيال) والذى أعرفه أن كلمتى (النضوج — والخصوبة) غير صحيحتين والصحيح أن يقال : (النضج والخصب) أما الكلمتان الأوليان فليستا من كلام العرب فيما أعتقد ؛ ومن أنكر فليغير والسلام .

محمود البشبيشى
(بالأسكندرية)

حول كلمة العنيد :

أرجو أن يعلم الأديب الفاضل « محمد مهدى أبو حامد » أن الكلمة التى كتب عنها تعليقه الكريم كانت فى الأصل « عنيدة » بالنون لا بالتاء فصنع بها التطبيع ما صنع ، كما لم تسلم عبارته أيضاً منه ، فقد كانت فى الأصل و « يقوض » فجعلها التطبيع « يقود » بالدال لا بالضاد وكأن القدر شـــاء له ذلك ليعذرني فى خطأ لم ارتكبه ! ! .

ولا أذكر أنى كتبت طيلة حياتى — فى مختلف الصحف — مقالة سلمت من التطبيع ، وهو على كثرته — واضح يفطن إليه المتأمل ، وسبحان من تفرد وحده بالكمال .

هذا وللأديب الناقد شكرى وتحياتى .

محمد رجب البيومى



الخجـــول !!

للكاتبة الإنجليزية كاترين مانسفيلد

للأديب محمد فتحي عبد الوهاب

كان في الواقع شخصاً خجولاً بكل معاني الخجل، ولا يملك مطلقاً ما يقوله عن نفسه . وياله من حمل ! إذا كان في غرفتك فإنك لا تدري أين تذهب ، ولكنه يظل جالساً حتى يخيل إليك أنك ستنفجر حتماً صارخاً . وتتحرق شوقاً لقذف أي شيء وراءه، عند ما يندفع أخيراً إلى الخارج .

وهو يسترعي اهتمامك عند أول نظرة . وقد تذهب إلى المقهى ذات مساء ، فتراه جالساً في ركن منها ، وقدح القهوة موضوعاً أمامه . أنه فتى أسمر البشرة ، رفيع القامة يرتدي صدرة صوفية زرقاء وسترة رمادية ذات أكمام قصيرة تظهره كصبي عازم على الهروب إلى البحر ، صبي هارب فعلاً وها هو ذا يقوم في لحظة وقد حمل على طرف عصاه منديله المعقود الذي يحوي رداء نومه وصورة والدته ... وها هو ذا يتعثر ليلاً على حافة الجسر الخشبي في طريقه إلى السفينة .

كان له شعر قصير ، وعينان رماديتان بأهداب طويلة ووجنات بيض ، وفم متجهم كأنه على وشك البكاء . وكيف تقاوم النساء أغراءه ؟ أن قلوبهن لتلتوي عند ما ينظرون إليه . وكان خجله يزيده جاذبية حتى أن وجهه كان يتحول قرمزيا في كل مرة يقترب منه خادم المقهى، كأنه سجين هارب يعلم ذلك الخادم ماضيه .

وقالت إحدى السيدات « من هو يا عزيزتي ... أتعرفينه ؟ »

فقالت الأخرى ! نعم أعرفه . أنه أيان فرنش ، وهو رسام ماهر . أن أول من تعرفت به وهبته حنان المرأة وعنايتها . وكانت تسأله عن أهله ، وما يكفيه من الأغطية على فراشه ، وكمية اللبن التي يشربها يومياً . ولكنها عند ما ذهبت إلى داره لتلقي نظرة

حول لفظة :

جاء في كلمة الأستاذ الفاضل السيد محمد مهدي أبو حامد في البريد الأدبي للرسالة الغراء قوله : « وهذا ما يحضرني الآن من الألفاظ الدالة على معنى (القدم) ولا أقول هذا كل ما في اللغة في هذا المعنى إذ ربما يطلع علينا بألفاظ أخر من المراجع اللغوية (الرقيب العتيد) الأستاذ عدنان وذلك ما كنا نبغي » .

وقبل الكلام أقدم الشكر الخالص للأستاذ المهدي على حسن ظنه وجميل شعوره ، نحو هذا الضعيف — القوي بالله — وأقول إن ما رآه الأستاذ الأديب ورواه حول لفظة (العتيد) صواب كله وليس لمستزيد عليه مزيد ، ، ولا الرقيب العتيد .

ثم أقول : ومن الألفاظ الدالة على (القـدم) — وذلك بالإضافة إلى (العتيق والقديم والمهيد) قولهم : الأبيد والدهير والتليد والسحيق ، وفي مقام القياس : الزمين — إن شئت — والأزيل من الزمن والأزل ... وهي كلها ألفاظ تدل على القدم ، والخلود بعد العدم ...

(الزيتون) عدنان

من مؤلفات ابن طولون :

قال الدكتور أسـعد طلس في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : وقد نشر لابن طولون من المؤلفات ثلاث رسائل : (الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون) ورسالة (الشمعة المنية في أخبار القلعـة الدمشقية) ورسالة (المعزة في تاريخ المزة) . مع أن مكتبة القدسي بالقاهرة كانت طبعت قبل ذلك من كتب ابن طولون (اللمعات البرقية في النكت التاريخية) سرد فيها كثيراً من الحوادث والتراجم التي لا يوجد بعضها في غيرها ، و (إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين) ذكر فيه الكتب التي بعث بها النبي عليه الصلاة والسلام إلى الملوك ، و (تبييض الطرس بما ورد في السمر ليالي العرس) .

محمد أسامة عليبة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

على جواربه ، جعلت تطرق البــاب دون مجيب ، مع أنها تقسم أنهــا كانت تسمع تردد أنفاسه داخل الغرفة . ووقفت تنتظر وتنتظر ... دون جدوى .

وقررت الثانية أن توقعه فى شراك الحب . فقربته منهــا ، ودعته بالصبى ، وانحنت فوقه لينتشى من العطر الفاخر الذى يفوح من شعرها . وأخذته بين ذراعيها ، وحدثته عن مباهج الحياة التى لا يتذوقها إلا كل مقــدام جرىء . ثم ذهبت إلى غرفته ذات مساء ، وقرعت الباب ثم قرعت ... دون جدوى .

وقالت الثالثة أن التسلية هي ما يحتاجه هذا الصبى . فذهبت به إلى المقاهى والمــلاهى وأماكن الرقص وطفقت تذيقه الخمر . ولــكن كل ذلك لم يحرك شعرة من رأسه . وثمل مرة ، ولــكنه جلس صــامتاً جامداً كالحجر الأصم ، وقد علت وجنتيه بقعتان قرمزيتان . وعنــد ما عادت به إلى غرفته كان قد استرد وعيه ، فحياهــا فى الشارع كأنهما قادمان من كنيسة ... وحاولت ثم حاولت ... دون جدوى . !!

* * *

وبعد محاولات عديدة يأسن منه النساء — لأن روح العطف لا تموت عندهن إلا بصعوبة — ومع ذلك فكن لطيفات معه ، يدعونه فى معارضهن ، ويحادثنه فى المقهى . وكان هذا هو كل ما يستطعن الحصول عليه منه .

واعتقدن تمام الاعتقاد أنه يوجــد شىء مريب مستخفياً فى طيات نفسه . أنه لا يمكن أن يكون بريئاً كما يظهر لهن . ولماذا تجىء إلى باريس إذا كنت تريد أن تكون زنبقة فى الحقل ؟ أنهن لا يشتهين ولــكن .

* * *

كان يعيش فى أعلى بناء شامخ بجانب النهر ، من تلك المبانى التى تخالها خيالية فى الليالى المطرة والقمرية ، وإذا بك لاتشم فى داخلها رائحة الخيال طوال السنة . وكانت غرفته تطل على منظر ساحر والنافــذتان الكبيرتان تشرفان على الماء حيث الزوارق تتأرجح وتتمايل . وكان أمام النافذة الجانبية منزل صغير يطل على سوق لبيع الزهور تظللها مظلات عــديدة انسابت من شقوقها الأزهار حقاً أنه لا يحتاج إلى الخروج ، فهو يجد ما يجتذبه إذا ما جلس بجانب النافذه ، وما يجعله يمكث فى غرفته إلى ما شاء الله حتى لو أبيضت لحيته واستطالت .

كم تكون دهشة هؤلاء السيدات اللاتى تحدثن عنــه إذا ما تمكن من اغتصاب باب غرفته ؟ لقد كانت غرفته مثالاً للعناية والنظافة وحسن الترتيب ، فالأوانى معلقة على الحائط خلف الموقد النازى ، وطبق البيض وقدح اللبن وأبريق الشاى على الأرفف ، والكتب والمصباح على المــائدة ، والستارة الهندية المزركشة بالرسومات منسدلة على فراشه ، واللوحة الصغيرة المنمقة أمام عينيه بجانب الفراش وقد كتب عليها بخط واضح « استيقظ بسرعة »

كان كل يوم عنده مثل سابقه . فعند ما يغمر الضوء غرفته يستميت فى عمله ، ثم يطهى طعامه وينظف حجرته . ويذهب فى المساء إلى المقهى ، أو يجلس يقرأ ويكتب قائمة معقدة يبدأهــا « ما الذى يكفى عمــله ؟ » ويختمها بقسم « أقسم ألا أزيد عن صرف هذا المبلغ فى الشهر القادم . الأمضاء — أيان فرنش » .

لم يكن هناك ما يدعو إلى الريبة فى كل هــذا ، كما يدعين . ومع ذلك فقد كن على حق ، لأن ذلك لم يكن كل شىء .

فى ذات مساء كان جالساً بجانب النافذة يأكل البرقوق ويرمى بالنواة على قمة المظلات فى سوق الأزهار الخالية . وكانت السماء تجود مطراً ، أول مطر للخريف فى ذلك العام . والبرق يلمع فى كل مكان ، والهواء يحمل فى جوانحه شذى البراعم ، وقد خفتت الأصوات التى ما زال صداها يرن فى الجو القاتم ، واقترب الناس من نوافذهم يتطلعون إلى فعل الطبيعة ، ويشاهدون الأشجار وقد بدأت تورق وتزدهر . وسأل نفســه أى نوع من الأشــجار تلك التى يشاهدها ؟ وأقبل العامل المــكلف بإنارة مصابيح الشارع ، وابتدأ فى إضاءة المصباح القائم بجانب المنزل أمامه ، ذلك البيت المتداعى . وفجأة كاستجابة لنظراته ، فتح مصراعا نافذة وأقبلت فتاة إلى الشرفة تحمل أصيصاً من الأقحوان . كانت نحيفة نحافة ملفتة للأنظار ، وترتدى مئزراً قاتماً ، وقد عقدت على شــعرها منديلا وهى مشمرة الأكمام وذراعاها يلمعان فى الظلام .

وسمعها تقــول « نعم ، إن الجو حار وذلك يساعد الزهور على النمو » ثم وضعت الأصيص على الأرض والتفتت إلى من تحدثه داخل الغرفة .. ثم استدارت ووضعت يديها على المنديل وجعلت تنظم خصلات شعرها ، وألقت نظرة على السوق الخالية

ثم إلى السماء ، ولكنها لم تلتفت إليه كأن المكان الموجود فيه ليس إلا خلاء ، وكأنه لا يوجد أمامها منزل مقام . ثم اختفت داخل الغرفة .

وسقط قلبه من نافذة غرفته إلى شرفة المنزل المقابل ، واستقر داخل أصيص الأقحوان تحت البراعم التي كانت على وشك التفتح . وسمع أصوات الأطباق وهي تغسلها بعد العشاء ، ثم أقبلت إلى النافذة ، ونفضت ممسحة صغيرة في الهواء ثم علقتها على مسمار حتى تجف .

... لم يسمعها مرة تغني أو ترفع ذراعيها إلى القمر كما تفعل الفتيات . كانت ترتدي دائماً نفس المئزر القاتم وعلى شعرها ذلك المنديل الأحمر . من يعيش معها ؟ إنه لم يشاهد سواها بالقرب من هاتين النافذتين . ومع ذلك فكانت كثيراً ما تتحدث إلى من بالغرفة . لعلها والدتها العاجزة . ولعل والدها توفى . ولعله كان صحفياً شاحب اللون طويل الشارب أسود الشعر .

أنهما يعملان طوال اليوم ما يكفي لدهما بالقوت الضروري ولكنهما لا يخرجان من منزلها قط ، ولم يشاهد لها أصدقاء .

وعند ما جلس على مائدته ، كان عليه أن يكتب إقراراً جديداً وقسماً جديداً بألا يذهب إلى النافذة إلا في ساعات معينة ، وألا يفكر فيها حتى ينتهي من عمله اليومي .

كان ذلك بسيط جداً . لقد كانت المخلوقة الوحيدة التي يود أن يتعرف بها . أنه لا يحتمل الفتيات الضاحكات ولا يجديه أن يتعرف بالنساء الناضجات . لقد كانت في مثل سنه وعلى شاكلته .

وجلس في غرفته متعباً ، مسنداً ذراعيه خلف رأسه ، محدقاً ناحية نافذتها . وتخيل نفسه موجوداً معها وجعل يصفها لنفسه كما يصورها له خياله . كانت ذات طبع حاد . وكثيراً ما كانا يتشاجران في حرارة . وكانت لها طريقتها في الوقوف أمامه في عناد وغضب . ولم يشاهدها تبتسم إلا نادراً عند ما كانت تخبره عن الهرة الصغيرة التي تربيها ، والتي كانت تزأر كأنها الأسد عندما تقدم لها الطعام . واعتاد الجلوس بجانبها في هدوء كما يجلس الآن وقد أطبقت يديها على حجرها ووضعت قدميها تحت المقعد الجالسة عليه ، وهي تتحدث في صوت خفيض أو تظل صامتة ، مجهدة من عناء عمل اليوم . ولم تسأله بالطبع عن عمله . وكان يرسمها في أوضاع جميلة . ولكنها كانت تكره كل هذه الرسومات ، وتدعي أنها لا تمثلها مطلقاً . ولكنه معذور ... إنه لم يتعرف بها حتى الآن . ومن يدري ؟ فلعل ذلك يستغرق منه سنين طويلة .

ثم وجد أنها تخرج مساء كل خميس لتشتري حاجيات المنزل . ولاحظها خميسين متتاليين وهي واقفة أمام النافذة ، وقد ارتدت معطفاً قديماً وحملت سلة في يدها . كان لا يمكنه مشاهدة باب منزلها وهو جالس في غرفته . ولكن في مساء الخميس التالي وفي نفس الوقت ، اختطف معطفه وهرول خارجاً .

وارتكن بجانب منزله منتظراً قدومها . لم يكن لديه أية فكرة عما سيفعله أو سيقوله . ثم أقبلت مسرعة في خطوات قصيرة خفيفة . ما الذي سيفعله معها ؟ إن كل ما يستطيعه هو أن يقتفي أثرها ... ذهبت إلى البقال وأمضت هناك وقتاً طويلا ، ثم توجهت إلى القصاب ، وجلست تنتظر دورها ، ثم مكثت دهراً عند الخائط . وأخيراً قصدت إلى الفاكهي ، واشترت منه ليمونة وجعل يراقبها وهي تحدث الفاكهي . أنه يشعر أكثر من ذي قبل بأنه يجب أن يتعرف بها . لقد أحب فيها هدوءها ورزانتها ووحدتها وطريقة مشيها ، ووجد فيها كل ما ينشده في امرأة .

كانت سائرة في طريقها إلى المنزل عندما رجع يلاحقها . وتوجهت فجأة إلى اللبان ، ورآها من خلال النافذة وهي تشترى بيضة أمسكت بها في عناية ، بيضة كتلك التي يختارها لنفسه دائماً . وخرجت من الحانوت وتابعت سيرها . وجاءته فكرة . فلم يتردد في دخول الحانوت ومكث هناك لحظة . ثم حث الخطى حتى وجد نفسه يسير وراءها . وخلفت منزله عابرة سوق الأزهار مخترقة المظلات الكبيرة وهي تطيء بأقدامها الزهور المتساقطة على الأرض وزحف داخل منزلها ، وصعد السلم محاولا أن يكون وقع أقدامه ملائماً لوقع خطواتها حتى لا تلاحظ وجوده . وعندما وقفت بجانب الباب ووضعت المفتاح في الثقب ، أسرع وواجهها فالتفتت إليه في تساؤل .

... واحمر وجهه أكثر من المعتاد ، ولكنه نظر إليها في جرأة ، وقال في صوت تلوح عليه رنات الغضب المكبوت وقد علت وجهه حمرة الخجل «أرجو المعذرة يا آنسة . لقد سقط منك هذا» وقدم لها ... بيضة !!

(اسكندرية) محمد فهمي عبد الوهاب